وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الوسيط

العصبية ودورها في تأسيس الملك في المغرب الأوسط الدولة الحمادية أنموذجا

(من ق04–06هـ/10–12م)

إعداد الطالبتين:

حري فاطيمة

بوخدية وهيبة

إشراف الدكتور:

حاج عيسى إلياس

أعضاء لجنة المناقشة

أ. كوريب عبد الرحمن ..... رئيسا

أ. حاج عيسى إلياس ..... مشرفا

أ. بورملة عربية ..... مناقشا

السنة الجامعية:

1435- 1436هـ الموافق لـ 2014- 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بداية و قبل كل شيئي، أتوجه بشكري الخالص لرب السماوات والأرض، رب كل شيء و مليكه، ولي الدنيا والآخرة على توفيقه لنا لإنجاز هذا العمل المتواضع، راجينا أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم و أن يفتح لنا به طريقا إلى الجنة.

كما نوجه تشكراتنا الصادقة إلى الأستاذ المحترم، "حاج عيسى إلياس" على إشرافه و ملاحظاته القيمة أثناء إعدادنا لهذه المذكرة شكلا و مضمونا، وصبره معنا وحلمه علينا راجينا من الله عز وجل أن يجعله ذخرا ومنارة لطالبي العلم.

كما لا يفوتنا أن نتوجه ببالغ الشكر والعرفان إلى اللجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر الأستاذ "كوريبة عبد الرحمن والأستاذة بورملة عربية" وإلى كل الأساتذة الأجلاء حيث نخص بالذكر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ وأخيرا وليس آخرا نتوجه بأسمى آيات الشكر والإمتنان إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع .

فاطمية- وهيبة

المختصرات:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
ع	عدد المجلة
هـ	هجري
م	ميلادي
د ت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
تح	تحقيق
مر	مراجعة
در	دراسة
مج	مجلد
تع	تعليق
ت	تاريخ الوفاة

إهداء

نهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى

أغلى ما نملك في الحياة: العائلات الكريمة: التي باتت

تشقى لنرقى وتتعب لنسعد،

جفن العيون والصدر الحنون " أمهاتنا الأعزاء أسأل الله

طول العمر وحسن العمل وإلى من علمنا كيف الحياة

وأنار دربنا للمعرفة.

وإلى أبائنا الكرام الذين قدموا لنا كل الإمكانات

والجهد إلى كل الأخوة والأخوات الكرام

إلى من ساعدنا على إنجاز هذا العمل.

مقدمة

إذا كان هناك ما يقال عن عصور تتغير فيها ظروف حياة الدولة والشعوب تغييرا عميقا لظهور أبطال جدد على مسرح الأحداث ولتداخل عناصر جدد، فمطلع القرن الرابع هجري إلى غاية القرن السادس هجري يعد واحد من هذه التحولات بالنسبة للمغرب الأوسط، الذي تميز بظاهرة اجتماعية بارزة أثرت في مسار تطوره و استقرار دوله، وتتمثل تلك الظاهرة في كثرة القبائل وتباينها، وتعدد العصبيات واختلافها.

وتماشيا مع موضوع الدراسة سنأخذ قبيلة صنهاجة المغرب الأوسط نموذجا لذلك إذ أن ما ميز بحثنا هذا أنه تناول حياة قبيلة داخل دولة، ويتوقف عن بداية ظهور ملامح التغير على المجتمع الصنهاجي بِشكل جَليّ وحدوث قفزة نوعية في نمط معيشته من الحياة القبلية إلى طور ممارسة السلطة والدولة، ومن ثم انقسام –الدولة الزيرية– إلى قسمين: شرقي وغربي.

فخصصنا بحثنا هذا للقسم الغربي الذي انفردت به الدولة الحمادية، التي امتداد حكمها من 405هـ-1014م إلى غاية 547هـ-1552م، إذ تعتبر من أبرز القوى السياسية والعسكرية التي قامت ببلاد المغرب الأوسط نظرا لدورها الحضاري طيلة قرن ونصف من الزمان، حيث امتدت عبر فترة تاريخية مليئة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي اعتبرت من بين المنعطفات التي غيرت معالم الحضارة الإسلامية في مغربها الأوسط.

ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لهذا الموضوع –العصبية– الذي أملته حوافز عديدة أهمها:

– معرفتنا لما لهذا من خطورة، لأنها هيمنت على الحياة الاجتماعية منذ حقبة موغلة في القدم بالمغرب الإسلامي عامة ولا سيما المغرب الأوسط خاصة الذي يعتبر جزء لا يتجزأ منه من حيث التأثير والتأثر. والأخطر من ذلك كله أن هذه الظاهرة ما زالت سائدة في مجتمعنا حتى هذه الأيام، بل هي مستولية على عقول فئات كثيرة من مجتمعنا الحديث، وهي ظاهرة ضاربة جذورها في أعماق المجتمع المغربي كافة.

أهمية الموضوع: هذا البحث يعالج موضوعا تاريخيا اجتماعيا، خلال فترة زمنية مضطربة، أخذت العصبية القبلية منها حيزا كبيرا، وتعد الفترة الزمنية المحددة (القرن 4هـ إلى6هـ) كمجال لهذا البحث فترة في غاية الأهمية والخطورة معا، لأنها تسجل التقهقر الاجتماعي والسياسي في بلاد المغرب الأوسط.

ومن هنا حاولنا معالجة هذه الظاهرة –العصبية– من خلال تأثيرها على حياة الدولة الحمادية واستقرارها وتطورها وجمودها. وإن هذا الأثر سيتجلى ضمن فصول البحث وهذا يجر إلى الحديث عن القبائل الخاضعة للدولة، والخارجة عن نفوذها، وعلاقاتها فيما بينها.

ومن هنا يمكننا طرح الإشكال التالي: لماذا تتحول العصبية من مجرد مصلحة مشتركة إلى قوة للمطالبة والسعي وراء السلطة، ومن ثمة تأسيس دولة؟ ومن هذه الإشكالية تبادرت إلينا عدة تساؤلات أبرزها:

– هل كان للعصبية دور في ظهور صنهاجة كقوة في بلاد المغرب؟

– وما دورها في تفكك الوحدة الصنهاجية وتأسيس الدولة الحمادية؟

– وما أثرها على الدولة الحمادية ؟

وللتفصيل في هذا الموضوع والإجابة على التساؤلات المطروحة، تم اعتماد المنهج التاريخي التحليلي كونه الأنسب لعرض الأحداث التاريخية وتتبعها حسب تسلسلها الزماني.

وقد تمت دراسة الموضوع وفق خطة البحث التالية: بداية **فصل تمهيدي**: تناولنا فيه أحد المصطلحات الأساسية التي تخدم موضوع بحثنا. فخصصنا المبحث الأول لمفهوم العصبية، والمبحث الثاني لمفهوم القبيلة، وكذا المبحث الثالث الذي حاولنا فيه شرح نظرية العصبية عند ابن خلدون، ويليه فصلان، **الفصل الأول**: الذي يتحدث عن دور صنهاجة في تأسيس الدولة الزيرية، ويحتوي هذا الفصل على ثلاث مباحث، الأول تحدثنا فيه عن أصل صنهاجة ومواطنها، أما المبحث الثاني:

فتطرقنا فيه إلى ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث ببلاد المغرب الأوسط ثم يأتي المبحث الثالث: الذي يبرز فيه ظهور شخصية حماد على مسرح الأحداث والدور الذي لعبه في المعترك السياسي للدولة الصنهاجية، ثم يأتي **الفصل الثاني**: تحت عنوان انقسام الدولة الصنهاجية وتأسيس الدولة الحمادية، ويشتمل على ثلاث مباحث، الأول الصلح وإعلان قيام الدولة، المبحث الثاني: يتناول الأطوار التي مرت بها الدولة الحمادية وفق نظرية القوة والغلبة ويليه المبحث الثالث والأخير الذي تطرق فيه إلى عوامل سقوط الدولة الحمادية.

ولدراسة الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع في مقدمتها:

- مقدمة ابن خلدون، مؤرخ مغربي (ت808هـ-1408م)، وتعتبر مقدمته من أول المصادر وأهمها بالنسبة للبحث، بحيث تعد من أدق المصادر التي تبحث في موضوع العصبية.

- وكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تاريخه يحتوي معلومات غاية في الأهمية عن قبائل البربر وطباعهم، ودولهم، وتوزيعهم، ويعتمد ابن خلدون في تحليله للأحداث على مبدأ العصبية القبلية وهي ميزة انفرد بها مما يجعله مصدرا هاما لدراسة هذا الموضوع.

- وكتاب بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت712هـ-1312م)، الجزء الأول، حيث يعتبر مصنفه من بين المصادر الهامة في تاريخ المغرب، وفي الجزء الأول منه يوفر مادة تاريخية هامة عن الدولة الفاطمية وعلاقتها مع القبائل البربرية، كما يؤرخ للدولة الزيرية وعلاقتها مع الفاطميين.

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، الذي يعتبر من أوثق المصادر وأهمها في علم الأنساب، حيث اعتمد فيه أصل البربر ونشأتهم ومواطنهم، وفروعهم وهو ما تحتاجه دراستنا.

– واعتمدنا على كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجري ذلك شجون الكلام لابن الخطيب (ت776هـ-1374م)، الجزء الثاني، الذي خصص كتابه للحديث عن فئة من الملوك من بينهم الزيريين والحماديين، فقد أفادنا كثيرا في تأكيد الأحداث السياسية التي استقيناها من المصادر الأخرى.

– ومن المصادر الجغرافية كتاب المسالك والممالك للبكري (ت487هـ-1094م) باعتباره كان قريبا من الحدث حيث قدم لنا معلومات مهمة، ولا يمكن الاستغناء عنه في تحديد المناطق ووصفها.

-كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ-1228م) وهو المعجم الجغرافي الضخم الذي عرف فيه مؤلفه مناطق العالم الإسلامي بشرقها وغربها وهو مصدرنا الأساسي في التعريف ببعض الأماكن والمدن.

كما أننا اعتمدنا على مجموعة من المعاجم اللغوية من بينها ابن منظور، لسان العرب، الذي أفادنا في شرح المصطلحات الأساسية التي تخدم البحث.

أما بالنسبة للمراجع فكل من كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، لرشيد بورويبة وكتاب دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية لإسماعيل العربي، بالإضافة إلى كتاب دولة بني حماد صفحات رائعة من تاريخ الجزائر لعبد الحليم عويس، وهؤلاء أرخوا للدولة الحمادية وتحدثوا عن أبرز محطاتها، بالإضافة إلى مرجع الدولة الصنهاجية للهادي روجي إدريس وهو كتاب قيم تناول فيه التاريخ السياسي والحضاري للدولة الصنهاجية، لكن المؤلف ركز كثيرا على الشق الزيري من الدولة الصنهاجية وأغفل أحيانا الدولة الحمادية.

وإعداد هذا البحث لم يتم بسهولة ويسر نظرا للصعوبات التي يرجع أغلبها إلى:

– تكرار المادة العلمية في أغلب المصادر والمراجع، وأن العلاقة بين موضوع العصبية والدولة لم يستوف حقه من البحث والدراسة بعد وما جاء في مقدمة ابن خلدون لا يكفي للإحاطة بالموضوع

من جوانبه كافة، كما أن الإشارات العابرة التي وردت في بعض المصادر والمراجع الحديثة أبقت موضوع العصبية القبلية في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

ومع هذا فإن الصعوبات التي اعترضتنا قد تم تذليلها بفضل ما قدمه الأستاذ المشرف: "حاج عيسى إلياس" حيث ساعدنا بفضل معلوماته ودقة ملاحظاته في تتبع خطوات هذا البحث مسديا نصائحه ومقدما توجهاته المفيدة، فكان حفظه الله خير موجه وأفضل مرشد.

وفي الأخير أتممنا بحثنا بخاتمة كحوصلة للموضوع إذ تبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراسة الموضوع، وما تم استخلاصه من ملامح قوية تستحق التنويه والتركيز عليها. ويلي الخاتمة بعض الملاحق كالخرائط والجداول التوضيحية.

وعليه في الأخير يسعدنا أن نقدم هذا البحث المتواضع آملتين أن نكونا قد ساهمنا ولو بالشيء القليل في إثراء البحث العلمي، وبالتالي فإننا نلتمس العذر والعفو مما يظهر من تقصير وسهو أو خطأ غير مقصود في هذا البحث، فالكمال لله عز وجل.

الفصل التمهيدي

ماهية العصبية

موضوع العصبية في الحقيقة تطرق إليه جل الباحثين الذين درسوا فلسفة ابن خلدون، وقد حاولوا جميعا إيجاد تعريف وتحديد لهذه الكلمة التي غدت تحمل معان عديدة وعميقة، ومع هذا فقد بقيت لغزا يحاولوا الباحثون في الفلسفة والإجماع والتاريخ إيجاد المفتاح الذي يفك سره.

ليست كلمة عصبية من المصطلحات التي ابتكرها ابن خلدون، فلقد كانت شائعة الاستعمال في اللغة العربية [1]، والملفت للنظر حقا أن ابن خلدون يبدوا من خلال كتاباته حين يتكلم عن العصبية إنه يذكر شيئا بسيطا، بحيث يبعث على الاعتقاد بأنها مفهومة لدى قرائه، ولا تحتاج إلى شرح يستدعي التفلسف الواسع، حيث رأى بأنه يستعمل كلمة عربية، وردت في القرآن الكريم وشرحت في المعاجم والقواميس اللغوية[2]، فورد في القرآن الكريم بعد قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[3].

فالدين يدعوا إلى الوحدة وجمع القلوب، ومن هنا صرف معناها إلى الدلالة على التنازع والفرقة والاعتداد بالأنساب، إذن فالعصبية دعوة مفرقة تقوم على تناصر فريق ضد آخر في حال النزاع والخصام، مما يذكي نار الفتنة ويشعل الحرب بين القبائل، ولم يكن هذا لتناصر العصبي أو النصرة القبلية.

يستهدف دائما إقرار الحق أو إنصاف المظلوم، بل كان يستهدف مؤازرة المتعصب له سواء كان ظالما أو مظلوما[4]، وفي هذا المعنى تنطلق المعاجم اللغوية في تفسيرها لمعنى العصبية.

[1] -الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط 6، 1994.ص 166.

[2] - بوزياني الدراجي، العصبية القبلية وأثارها على النظم والعلاقات في المغرب، رسالة ماجستير من الجزائر، معهد التاريخ، 1987، ص 104.

[3] - سورة الأنفال: الآية: 63.

[4] - الجابري محمد عابد، المرجع نفسه ، ص 166.

1) – مفهوم العصبية :

أ– لغة :

لقد ورد في لسان العرب : التعصب من العصبية، والعصبية: "أن يدعوا الرجل إلى نصرة عصبيته والتألب معهم على ما يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين "[1]، وذكر صاحب المعجم الوسيط: العصبية هي: "المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرضي وتعصبنا له ومعه نصرناه وعصبة الرجل قومه الذين يتعصبون له"[2]، ويعرف محيط المحيط العصبية بأنها "الخصلة المنسوبة إلى العصبية...فإذا قلت تعصب الرجل فكأنك قلت أرى في نفسه هذه الخصلة"[3].

أما القاموس المحيط ففسر معنى العصبية من أصل الكلمة: "عصب" والعصب "محرك أطناب المفاصل التي تلاءم بينها وتشدها" والعصب: الطي واللي والشد وضم ما تفرق من الشجر، وتعصب :شد العصابة وأتى بالعصبية، وتقنع بالشيء ورضي به[4].

ب– إصطلاحا:

العصبية بمفهومها الاصطلاحي تتجاوز مدلولها اللغوي، فهي عند ابن خلدون يمكن استخلاصها من عدة فصول من المقدمة، فتظهر العصبية القبلية من أول وهلة في كتابات ابن خلدون أنها تقوم على رابطة النسب[5]، فهي تعبر الاستعداد الطبيعي الفطري الذي يدفع الفرد إلى نصرة قريبه في الدم والدفاع عنه "وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنصرة على ذوي أرحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم"[6].

---

[1]– ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، ص 791.

[2]– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ص 604.

[3]– بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص 604.

[4]– الفيروزبادي، القاموس المحيط، تح: التراث في مؤسسة الرسالة، مكتبة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 1098.

[5]– بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 223.

[6]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 106.

ولانعدم من النصوص ما يدعم هذه المقولة، فعندما انتصرت جيوش المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي الصنهاجي على عساكر تاشفين بن علي قرب تلمسان ،كاد أن يعتقل هذا الأخير وينكل جيشه، لولا أن زوجته خرجت طالبة إلى المنصور الحمادي "متوسلة بوشائج الصنهاجية، فأكبر قصدها إليه، وأكرم موصلها ، وأفرج عنه في صبيحة يومه"[1].

والعصبية قوة طبيعية متطورة ومتحركة غير ساكنة فهي المولد الدائم للصراعات والمنازعات ولا تظهر بصورة واحدة، إذ هي متعددة الوجوه[2]: تشتد العصبية كلما ضاق مجال رباطها، فهي قوية في الأسرة أكثر من قوتها ضمن العشير اشد مما تكون عليه في القبيلة، وهكذا كلما بعدت اللحمة ضعفت شدة العصبية[3]، والعصبية تجري نحو الملك لأنه غاية لها[4].

وفي هذا الصدد يقول الماوردي: "أن الإنسان ينطوي بطبعه على الرغبة في قهر خصومه وأعدائه وإذلالهم وارتباطا بذلك فان مجتمعنا بلا سلطة لن يكون إلا ساحة للصراع وأرضا خصبة للبغض والشحناء وميدانا فسيحا للفوضى والاضطراب، يستل كل آدمي فيه السيف في مواجهة أنداده تحقيقا لصوالحه ولو على أشلائهم"[5]، وبتحقيق غايتهم يعجزون عن الاحتفاظ بها ،بسبب ما يكمن فيها من سلبيات وسبب ظهور عصبية أخرى منافسة لها ،وهذا لا يتحقق إلا بواسطة القوة والغلبة المنطويان على القتل والدمار واندثار المآثر الحضارية وزوال المعالم العمرانية المتطورة[6].

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرا: سهيل زكار، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص 234.

[2]- عبد الجواد الرواشدة علاء زهير، ، نظرية العصبية، قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، مجلة كان التاريخية ، دورية كان التاريخية العدد 11، مارس 2011، ص 18.

[3]- بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 110.

[4]- عبد الجواد الرواشدة، المرجع نفسه، ص 18.

[5]- احمد وهبان، الماوردي رائد الفكر الإسلامي السياسي، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص 32.

[6]- عبد الجواد الرواشدة، المرجع نفسه، ص 18.

ولقد اختلف الكتاب في تعريفها ،حيث يحددها الماوردي فيصفها بالألفة الجامعة ويحدد شرحها بأسباب: الدين والنسب والمصاهرة، والمؤاخاة بالمودة والبر ثم يعرفها قائلا: "فلان الإنسان مقصود بالأذية محسود بالنعمة، فإذا لم يكن إلفا مألوفا تخطفته أيدي حاسديه وتحكمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مودة فإذا كان إلفا مألوفا انتصر بالألفة على أعاديه وامتنع عن حاسديه فسلمت نعمته منهم"[1].

أما ابن الأثير: "إن المصلحة كانت تقضي في بعض الأحيان تحالف قبيلة مع جماعات أخرى غريبة عنها على قبيلة تربطها بها رابطة النسب"[2].

ويعرفها البكري نقلا عن عواطف العربي شنقارو: بأنها سنة الحياة البشرية وخاصة القبيلة حيث يحدد الهدف من قيام الأخلاق بقوله: "فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافس الناس في الماء والكلأ والتماس المعاش في المتسع واستضعاف القوي الضعيف، انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومجالهم، وانتشر كل قوم فيما يليهم"[3].

ويعرفها المؤرخون المحدثون من أمثال : الجابري فيقول: "إنها رابطة دموية سيكولوجية تتعدى الزمان والمكان، فالعصبية بهذا المعنى الواسع (جماعة معنوية)، بمعنى أنها مجرد رابطة ولكنها تتشخص في أقارب الرجل الذين يلازمونه، فيتعصبون له عندما يكون هناك داع للتعصب إذن فالعصبية : رابطة اجتماعية وسيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة، ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد وجماعة"[4].

[1]- الماوردي أبو الحسن بن حبيب، ادب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص148.

[2]- ابن الاثير عز الدين، الكامل في التاريخ، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ص 241.

[3]- شنقارو عواطف العربي، فتنة السلطة، الصراع ودوره في نشأة غلاة الفرق الاسلامية، (من القرن 1 إلى 4هـ)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 2، 2001، ص 380.

[4]- الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص 168.

وفي نظر إبراهيم حركات هي إطار جماعي ضد إطار جماعي، ونظام حزبي بدائي استمر قائما مع توالى القرون على هامش سيادة الدولة والنظام الاجتماعي العام، بينما يصفها احمد صالح العلي بأنها تشبه الشعور القومي في عصرنا الحاضر، ولكن رابطة الدم فيها أقوى وأوضح مما في القومية"[1].

فيما يرى بعض المستشرقين العصبية بأنها ليست حالة وإنما هي سياسة، ويرفض إيف لاكوست اعتبار العصبية رابطة دموية مشير إلى أن التضامن القائم على روابط الدم ليست العصبية، وإنما هو شرط لتمكين العصبية أن تتطور"[2].

ويرى كارل بروكلمان: "أن العصبية القبيلة التي كانت تسيطر على العرب في جاهليتهم هي وحدها التي تربط الأسر بالعشائر والعشائر بالقبائل"[3].

ومفهوم العصبية لاتضح معناه في بحثنا هذا إلى وهو مقرون بالرابطة القبلية، ذلك أن العصبية في المجتمع القبلي لا تكون بقرابة الرجل وذوي رحمه، بل تكون للقبلية وتتفاوت شدتها حسب درجات القرابة في القبيلة الواحدة، لذلك اقترن مفهوم العصبية بالقبيلة، فما هو مفهوم القبيلة ؟

2) – مفهوم القبيلة:

أ–لغة:

كلمة القبلية مشتقة من القبيلة والقبيلة هي نظام المجتمع العربي على أساس قبلي وتشمل كل قبيلة مجموعة من الأفراد ينحدرون من جد واحد، وتضم عدد من العشائر التي تتكون بدورها من مجموعة من الأسرة يسكنونا في رقعة مشتركة وتربطهم رابطة الدم"[4].

---

[1]– خثير قويدري، صراع العصبيات في الاندلس ونتائجه على مسيرة الفتح، من بداية الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاوسط، جامعة الجزائر2، 2012، ص 13.

[2]– شنقارو عواطف، المرجع السابق،ص 380.

[3]–كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968،ص 17.

[4]– نبهان يحي محمد، معجم مصطلحات التاريخ، منتدى سور الازبكية، دار ياف للنشر والتوزيع، الاردن عمان، ط1، ص ص 214-220.

وتتكون القبيلة عادة من عدة بطون أو غيرها من الجماعات الفرعية وتسكن إقليما مشتركا تعتبره ملكا لهاو بلهجة مميزة وثقافة متجانسة وتنظيم سياسي موحد، أو على الأقل وجود تضامن مشترك ضمن العناصر الخارجية ويقال الانتقال من المجتمع القبلي إلي المجتمع الحضري[1].

والقبيلة هي فرع من الشعب سمية قبيلة التقابل الأنساب فيها، ثم تأتى العمارة وهي ما انقسمت فيها أنساب القبيلة كقريش وكنانة، من البطن وهي ما انقسمت فيه أنساب العمارة مثل عبد مناف وبني مخزوم، ثم الفخذ وهو لا انقسمت فيه انساب البطن من كبني هاشم وبني أمية ثم الفصيلة وهي ما انقسمت فيها أنساب الفخذ مثل بني أبي طالب وبني العباس ،فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ والعمارة تجمع البطون، والفصيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل وإذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل.

وإذا كان انتماء القبيلة إلا آب واحد فإن اسمها يكون مأخوذ من اسم الأب الذي تنتمي إليه[2]، وفي هذا المعنى ورد ذكرها في القرآن الكريم مقرونة بالشعب في قوله تعالى " يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "[3]

– اصطلاحا:

إن كتابنا القدامى يقولون أن أصل القبيلة هو التناسل الطبيعي إلا أن البحث الحديث أظهر أن هذا لا يصح إلا في حالات نادرة يكاد الانتروبولوجيون أن يجمعوا، رغم تعدد المدارس التي ينتمون إليها، أن الأصل في القبيلة هو الاختلاط وأن الانتساب إلي جد واحد من قبيل الرموز الجماعية التي تركز التلاحم الناتج عن ضرورة التعاون، وينظرون إلى الحكايات التي تقص بتفصيل كيف انحدرت

[1]– المرجع نفسه، ص ص 214– 220.

[2]– القلقشندي ابي العباس احمد، نهاية الارب في معرفة انساب العرب تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 184، ص 20.

[3]– سورة الحجرات، الآية 13.

القبيلة الفلانية من الجد الفلاني بعد خصومة أو عداء مع أبيه كآداب جماعية[1]، تكونت على نمط تقليدي معروف بعد تأليف القبيلة على أساس الولاء والاختلاط[2].

وفي هذا المعنى يؤكد ابن خلدون أن النصب ليس الانتماء إلى جد مشترك، بل المقصود بالنسب هو لانتماء الفعلي إلى جماعة معينة، ليس القرابة الدموية وحدها بل كل م ما يكون باعثا "للأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب "[3].

ومن هنا نستنتج ليس من الضروري أن ينحدر أفراد القبيلة من أصل واحد، فقد تنضوي عدة عصبيات تحت سلطة قبيلة واحدة تأخذ اسم أقواها دون أن تجمعهم صلة الرحم[4].

لقد كان التقسيم القبلي العربي المتداول في ست مراتب أو عشر مراتب فأصحاب الرأي الأول يجملونه في الأبيات التالية حيث يقول العلامة محمد بن عبد الرحمان الغرناطي[5]:

الشعب ثم قبيلة وعمارة بطن وفخذ والفصيلة تابعه

فالشعب مجتمع القبيلة كلها ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل هاكها جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمة شعب وإن كنانة لقبيلة منها الفصائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى وقصي بطن للأعادي قامعه
ذا هاشم فخذ وذا عباسها أثر الفصيلة لاتناط سبابعه

[1]- العروي عبد الله، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2006، ص 38.
[2]- المرجع نفسه، ص 38.
[3]- الماوردي أبو الحسن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 255.
[4]- مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ص 220.
[5]- احمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج4، تح: احسان عباس، دار صادر، 1988، ص ص 308-309.

بينما اتسم البناء القبلي المغربي ببساطته وعدم تعقيده حيث اتخذ شكلا هرميا كانت القبيلة فيه أعلى وحداته الاجتماعية، وقاعدته تتسع وتتقلص من قبيلة لأخرى، ويتدرج من البطون إلى الأفخاذ فالعشائر، وتمثل الأسرة أصغر وحدة فيه[1].

لقد حاولنا سابقا أن نحدد مفهوما لكلمة العصبية إلا أن التباين في الآراء حول تحديد معنى هذه الكلمة يعود إلى المفهوم الذي أعطاه الباحثون الأجانب لكلمة " العصبية"، أي حسب اختلاف الترجمات وعندما أعاد المختصون العرب نقل الكلمة إلى العربية تبين لهم أنها تحمل أفكار مختلفة منها ما يبعث على الفهم بأنها روح التضامن والتكافل الاجتماعي، ومنها ما يفهم منه أنها تعبر عن الروح القومية، ومنها ما يفسر بأنها شعور متطور للروح القبلية دون أن تصل إلى مرتبة الروح القومية، وثمة تفكير آخر يقول بان العصبية عبارة عن السلطة السياسية في المجتمعات القبلية[2].

ومنها للالتباس وتجنبا للتحليق بعيدا فانه يستحسن التوجه نحو صاحب المفهوم ومبتكره، لان التعرف على المصطلح من مصدره الأول أجرى وانفع من الغرق في التعاليق الفلسفية التي لا داعي لها.

- **نظرية العصبية عند ابن خلدون:**

تعتبر من أهم النظريات التي وضعها وتحدث عنها بإسهاب مستعرضا أشكال العصبية ومحددا لصورها المختلفة ومتتبعا لأدوارها في حياة المجتمعات البدوية بوجه عام، وفي حياة

[1] – سعد زغلول عبد الحميدن تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ص 292.

[2] –بوزياني الدراجي، (العصبية القبيلة)، المرجع السابق، ص 106.

الدولة بوجه خاص[1]، لذا يستحسن في البداية أن نلقي الضوء على فكر ابن خلدون الذي تعرض مباشرة لموضوع العصبية وذلك على النحو التالي:

1- مصدر العصبية وأشكالها:

يرى ابن خلدون أن أساس الرابطة العصبية هو ذلك الاستعداد الطبيعي الفطري[2]، الذي يدفع الفرد إلى نصرة قريبه في الدم، والدفاع عنه والعزة عليه، وتلك النزعة الطبيعية في البشر مذ كانوا[3].

فالعصبية نزعة طبيعية تؤدي إلى الالتحام والاتحاد بين أفراد النسب الواحد وتحملهم على التعاضد والتناصر حيث يقول:" إن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأهل ومن صلتها ...على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضير أو تصيبهم هلكة"[4].

وفي هذا المعنى فسر لنا أشكال العصبية برابطة القرابة والنسب أن رابطة النسب لا تختصر في نطاق القرابة وحدها لان الفرد قد يستعضل من نسبه الأصلي وينضم إلى نسب آخر، لأسباب عديدة ويحدث بصور مختلفة أهمها القرابة التي ذكرناها سابقا ثم وسعها إلى الحلف والولاء[5] حيث يقول:" ...الولاء والحلف إذ...كل احد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها من وجود النسب"[6].

وعصبة الدخالة التي تتم بعد فرار فرد أو طرده من عصبية معينة، ثم إلى الرق والاصطناع الذي تحدث عنه في الفصل الرابع عشر في أن البيت والشرف للموالي وأهل

---

[1]- صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، تقديم: محمد احمد خليفة، سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية، ط1، 1974، ص 220.

[2]- الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص 171.

[3]-ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 107.

[4]- المصدر نفسه، ص 107.

[5]- الرواشدة علاء زهير، المرجع السابق، ص 18.

[6]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 107.

الاصطناع إنما هو المع لا بأنسابهم[1]، فيقول:" إذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي، والتحموا بهم،ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية مساهمة في نسبها"[2].

2- دور العصبية في الحياة الاجتماعية والسياسية:

تلعب العصبية ادوار كثيرة ومهمة في الحياة الاجتماعية، حيث يرى ابن خلدون أن تطور المجتمع يمر بمرحلتين أساسيتين وضمن كل مرحلة تحدث تطورات بشكل دائم منها يؤسس لما بعده، ويتسم بسمات في جميع نواحي الحياة[3].

قسم ابن خلدون المجتمعات البشرية إلى نوعين: مجتمع بدوي، ومجتمع حضري[4]، ولإزالة كل كل التباس أو غموض يعمد إلى إعطاء تعريف عنها هذا ما سنتطرق إليه فيما بعد.

أ- طور البداوة: يعتبر ابن خلدون هذه المرحلة سابقة على مرحلة التحضر لان اجتماع البدو من اجل الضروري من القوت بينما يتعلق أهل الحضر بفنون الملاذ وعوائد الترف، والضروري أقدم من الكمالي[5].

تحكم أفراد البدو رابطة العصبية حيث نصرة ذوي الأرحام والأقارب وما يلزم عنها من تعاضد وتناصر، فالبداوة في المفهوم الخلدوني لا تعني فقط التنقل والرعي وإنما عدم سكنى

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 112.

[2]- نفسه، ص 112.

[3]- صلاح مصطفى الفوال، المرجع السابق، ص 221.

[4]- إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، مرغم للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للحقوق المطبعية، الجزائر، 2003، ص 155.

[5]- احمد محمود صبحي، فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994 ،ص 143.

المدن مثل سكان الريف والجبال ويكون الناس فيها صفات مميزة من خير وشجاعة وتوجه فكري يعتمد على الشعر[1].

يعتبر ابن خلدون إلى أن حياة التقشف تصبغ على البدو أخلاقا فاضلة، كالدفاع عن النفس والنجدة، والشهامة، والغيرة على الاستقلال[2]. فتربط على الجميع رابطة العصبية التي تعمل عملها على مستويات عصبية داخل القبيلة لبطن مثلا تقوم فيها العصبية الأقوى للسيطرة على غيرها من العصبيات، فتقوى ويزداد سلطانها فتسيطر عليها[3].

ومن هنا تهدف رابطة العصبية فيهم إلى الملك أي التغلب والحكم بالقهر، فان كانت بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها، تغلبها وتستبعثها وتلحم جميع العصبيات فيها، وتصير وكأنها عصبية واحدة كبرى، وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع[4]، لقوله تعالى:" لولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض"[5].

و تزداد قوة العصبية بعوامل إضافية أهمها الدين ومن هنا نتطرق إلى:

ب- **علاقة العصبية بالدين:** يلاحظ ابن خلدون بعض العلائق الهامة بين قوة العصبية وأمور الديانة والدعوة الدينية، مقدما ما أدلة عقلية ونقليه وتاريخية على ذلك حيث يقول:" إن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم"[6].

كما يلقي الضوء على التشابه بين كل من العصبية والدين ويقر بان الديانة تؤلف القلوب وتوحدها وتوجهها إلى وجهة واحدة، وتذهب التنافس والتحاسد وتحمل على

---

[1]- احمد بدر، عالم الفكر التاريخي التفسير التاريخي من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة،مج 29، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،14 أفريل، 2001، العدد 4، ص 13.

[2]- إدريس خضير، المرجع السابق، ص 160.

[3]- احمد محمود بدر، المرجع السابق، ص 13.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 115.

[5]- سورة البقرة الآية 251.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 130.

التعاون والتعاضد تماما كالعصبية حيث أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على العصبة التي كانت لها من عددها[1].

إن أساس الدعوة الدينية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يعني إحداث انقلاب في الأوضاع حيث يرى ابن خلدون أن تغير الأوضاع الفاسدة لا يأتي مطلقا بمجرد الدعوة إلى أوضاع أحسن بل لا بد من قوة مادية تنصر هذه الدعوة، والقوة المطلوبة هنا وفي كل حالة مماثلة هي العصبية[2].

إذن إن العلاقة بين العصبية والدين كما يفهمها ابن خلدون علاقة تآزر وتعاضد وتكامل، الدين يزيد من قوة العصبية بالتخفيف من مظاهر التعصب، كالأنانية والاعتداد بالأنساب وروح القطيع وذلك بتوجيه أهل العصبة كلهم إلى الله، أي العمل الصالح لقوله تعالى:" إن أكرمكم عند الله اتقاكم"[3].و العصبية من جهتها تمنح الدعوة الدينية قوة وفاعلية[4].

نلخص ما تقدم إلى أن العصبية في المجتمع البدوي الذي يتألف من قبائل البدو والرحل،لا تتطور إلى عصبية جامعة مطالبة إلا بتدخل عامل أخر، هذا العامل هو الدعوة الدينية التي تتبناها عصبية خاصة تناضل من اجل شرفها ونصرتها، الشيء الذي ينتج عنه رئاسة هذه العصبة صاحبة الدعوة على باقي العصبيات المرتبطة معها بالنسب العام فينشا هكذا تكتل عصبي سرعان ما يشق طريقه نحو الملك وتأسيس الدولة.

- **الملك وتطور الدولة:** العصبية أساس قوة القبيلة ولا تكون الرياسة إلا في أهل أقوى العصائب وإن العصبية تهدف إلى الملك ولا يمكنها أن تصل إليه إلا بالقوة والغلبة[5]،إن

[1]- صلاح مصطفى فوال، المرجع السابق، ص 221.
[2]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 231.
[3]- سورة الحجرات، الآية 13.
[4]- الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص 189.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 148.

صادفت قوة هذه العصبية الصاعدة مجاورتها لدولة في طور هرمها انتزعت الأمر منها، وصار الملك لها، أما إن صادفت دولة في طور قوتها انتظمتها الدولة غير أنها تستظهر بها على أعدائها في مقابلة مشاركتها في النعم والخصب حتى تذهب عنه خشونة البداوة[1].

بعد تحقيق مبدأ القوة والغلبة العصبية من العصبيات على كل العصبيات الأخرى، تحقق بذلك الرياسة والملك، فيكون بمقدور هذه العصبية أن تأسيس لها دولة، تكون الدولة في هذه المرحلة قوية بعصبيتها، وفي نفس الوقت فتية، فتتميز بقوة حاكمها وتلاحم أفرادها ومنه تبدأ الدولة في تطورها، التطور الذي يجري بها التفكك والانحلال[2].

يدرس ابن خلدون تطور الدول بناءا على المعاني التي يعطيها لها باعتبارها امتداد حكم عصبية ما الزمان يدرس هذا التطور من خلال كون الدولة شخص يملك، عصبية تحكم، عصبة غالبة وأخرى مغلوبة[3]، وهذا يعني أن الدولة تتطور في آن واحد من خلال الأطوار الخمسة التي تمر بها، ويتحدد كل منها طبقا الخلق والطبع الذي يغلب على أهله[4].

- **الطور الأول:** دور الظفر بابغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب المجد (...) لا ينفرد دونهم بشيء منه لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها[5].

[1]- احمد محمود صبحي، المرجع السابق، 144.

[2]- الرواشدة علاء زهير، المرجع السابق، ص 20.

[3]- الجابري محمد عابد، المرجع السابق، 217.

[4]- احمد محمود بدر، المرجع السابق، ص 14.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 144. الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص 217.

- **الطور الثاني**: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك[1]،فهذا الطور تتوجه فيه قوة الدولة ضد فريق من أصحابها بغرض الانفراد بالسلطة ومركزها[2]، وما ان يتحقق هذا حق تدخل الدولة في طورها الثالث.
- **الطور الثالث**: طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار، وبعد الصيت، فيستفرغ (صاحب الدولة) وسعه في الجباية (...) وتشييد المباني (...) وإجازة الوقود(...) واعتراض جنوده وإبراز أرزاقهم (...) فيباهي بهم الدولة المسالمة ويرهب الدول المحاربة، وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة، [3] وتبدأ قوة الدولة بالتلاشي في الطور الرابع.
- **الطور الرابع**: طور القنوع والمسالمة، ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى أولوه سلما لأنظاره من الملوك وأمثاله، مقلدا للماضين من سلفه[4]، وتشدد خطورة ضعف الدولة في الطور الخامس.
- **الطور الخامس**: طور الإسراف والتبذير في البلاط الذي يستهلك كل الموارد على حساب نفقات الجيش، وكذلك يبعد كل ما تبقى من أثار العصبية[5].

تستغرق هذه الأطوار الخمسة أجيال أي مائة وعشرون سنة، وهو عمر الدولة الذي لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال، فالجيل الأول يبقى على خلق البداوة وخشونتها قويا، والجيل الثاني انتقل من الشطف إلى الترف، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل لباقين عن السعي فيه فتنكسر لديه حدة العصبية وقوتها ومع ذلك يبقى لديه شيء

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 144.

[2]- احمد محمود بدر، المرجع السابق، ص 14.

[3]-الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص 217.

[4]- احمد محمود بدر، المرجع نفسه، ص 15.

[5]- المرجع نفسه، ص 16.

مما أدركه وشاهده من الجيل الأول من السعي إلى المجد والمدافعة والحماية مع الرجاء بعودة الأحوال إلى ما كانت عليه في الجيل الأول.

أما الجيل الثالث فتبدأ البداوة بالنسبة له كأنها لم تكن ويفقد حلاوة الغزو والعصبية وملكة القهر وتنهار قوتهم بالشرف... العيش حتى يصبحوا عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، ويحتاج صاحب الدولة إلى الاستظهار بسواهم من أهل الدولة حتى تنقرض الدولة لحساب أصحاب عصبة جديدة بدورية قوية وتبدأ دورة الملك أخرى[1].

- **انتقال من البداوة إلى الحضارة:**

إن العصبية الغالبة بتأسيسها للدولة تكون قد وصلت إلى مفترق الطرق بين البداوة والحضارة، والكلام عن الحضارة يعني مجال تطور الدولة حيث أن الدولة من أولها بداوة ثم تتبع ذلك الرفه واتساع الأحوال، وتفسير كل ذلك حسب ابن خلدون هو التغير في نحل المعاش وانتقالهم من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة[2].

والحضارة كما عرفها ابن خلدون إنما هي تفنن في الشرف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأقواله فكل واحد منها صنائع في استجادة والتأنق فيه يحتقن به ويتلو بعضها بعض وتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الشرف وما تتلون به من العوائد فصار حوار الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك[3].

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 140.

[2]- الجابري حمد عابد، المرجع السابق، ص 141.

[3]- المصدر نفسه، ص 141.

فان هذا التطور العام للدولة يسير على نفس الحظ وسيجتاز نفس المراحل التي تطرقنا إليها سابقا، مرحلة الالتحام والقوة، مرحلة الاستبداد والمجد، ومرحلة التفكك والضعف[1].

وهكذا الدولة كتل تجتاز ثلاثة أطوار رئيسية طور التأسيس والبناء وطور العظمة والمجد وطور الهدم والاضمحلال[2]، فلندرس إذن شيء من التفصيل خصائص ومميزات كل هذه الأطوار الثلاثة وفقا للدولة الحمادية نموذجا في الفصول القادمة.

[1]- الجابري حمد عابد، المرجع السابق، ص 221.

[2]- المرجع نفسه، ص 222.

الفصل الأول:

دور صنهاجة في تأسيس الدولة الزيرية

المبحث الأول:

أصل تسمية صنهاجة

المبحث الثاني:

ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث ببلاد المغرب

المبحث الثالث:

ظهور شخصية حماد على مسرح الأحداث

المبحث الأول: أصل تسمية صنهاجة

اختلفت تسمية سكان إفريقيا الشمالية عبر العصور، فمنهم من سماهم بالليبيين، ومنهم من أطلق عليهم اسم النوميديين، بالإضافة إلى تسميات أخرى، كالجيتوليين، المور، والأمازيغ ومن بعد ذلك اتفق المؤرخون على تسمية شعوب الشمال الإفريقي بالبربر، وقد بقيت هذه التسمية إلى يومنا هذا[1].

وينتسب الصنهاجيون إلى ولد "صنهاج"، وأصل الكلمة " صناك" بالعداد المشممة زايا والكاف القريبة من الجيم، فلما عربتها العرب زادت الهاء بين النون والألف، فصارت الكلمة " صنهاج" ثم أضافوا إليها تاء الجمع فتحولت إلى "صنهاجة"[2].

وقد اختلف النسّابة والمؤرخون والباحثون في ضبط النطق الصحيح لهذه القبيلة، كما نشأ خلاف كبير بين النسابة والمؤرخون العرب والبربر حول أصل قبيلة صنهاجة، أهي من البربر الخلص من ولد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ؟ أم من أصل عربي يمني جنوبي ؟.

ونتيجة لتضارب الآراء حول أصل صنهاجة[3]، فقد برز تياران متناقضان يدافعان عن نظريتين متباينتين، ويدعمان طرحهما بأدلة وبراهين يبدو أنها قابلة في مجملها للجدل والاعتراض.

1- التيار الأول:

أ- نظرية علماء الأنساب العرب: هؤلاء قد قسموا قبائل العرب إلى فرعين :عرب الشمال العدنانيون نسبة إلى عدنان بن إسماعيل عليه السلام[4]. وعرب الجنوب القحطانيون نسبة إلى قحطان بن عامر، فإنهم يؤكدون أن صنهاجة من العرب القحطانية.

---

[1]- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)،ج1، دار المعرفة، ، الجزائر،(د ط)، 2009، ص 12.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 152.

[3]- ابن خلكان، وفيات الأعيان و أبناء الزمان،مج1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص ص 158-159. كما ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5 دار صادر، بيروت، 1915، ص 362.

[4]- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط1، 1992، ص 32.

وأول من نادى بهذه النظرية هو النسّابة العربي الشهير بابن الكلبي المتوفى سنة (204-206هـ/819-821م)[1]، صاحب كتاب النسب الكبير ، حيث قال: «ينسب البربر إلى حميَر من عرب اليمن[2]، وليسوا من البربر، وقد قال بهذا الرأي أيضا الطبري، والمسعودي، وعبد العزيز الجرجاني ومما دفع بالنسّابة العرب إلى إلحاق البربر بنسبهم هو أن معظم الفاتحين العرب من أصل حميَري»[3].

وقد نفى ابن حزم الرواية التي تقول " أن افريقش بن صيفي احد أحفاد قحطان ،قد تحول من اليمن إلى افريقية مرورا بسوريا وفلسطين حيث التقى ببعض الكنعانيين الذي أبقاهم يوشع فإصطحبهم إلى افريقية التي فتحها وقتل ملكها جرجير، وترك بها حامية من كتامة وصنهاجة " لأن هذه الرواية فيها تضارب، فالملك جرجير قتل في غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أثناء غزوته الأولى ضد افريقية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[4]، أخوه من الرضاعة سنة 270هـ/674م، الذي كانت له واقعة شهيرة هي غزوة سبيطلة في نفس السنة، والملك افريقش كان في عهد موسى عليه السلام أو قبل عهده بقليل، فقد غزى افريقية وهو من سمى البربر بهذا الاسم.

أما بخصوص تبعيتهم بهذا الاسم، فقد أورد المؤرخون أن افريقش بن قيس لما غزى المغرب وافريقية استغرب في هذه الشعوب في اختلاط أصواتهم فقال: "ما أكثر بربرتكم "[5]، ولما انصرف عنها ترك بها حامية من قبائل حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها[6]، وكلمة البربر تعني اختلاط الأصوات غير المفهومة، تغلب عليها حروف الراء والباء أي يبربرون[7].

---

[1]- السعدي، تاريخ السودان، باريس، (د ط)، 1981، ص 25.

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص33.

[3]- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، (د ط)، 2010، ص 15.

[4]- الهادي روجي، المرجع نفسه، ص 33.

[5]- ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة، (د ط)، 1993، ص 74.

[6]- الهادي روجي، المرجع السابق،ج1، ص 33.

[7]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 12.

وعلى الرغم من اتفاق أصحاب هذه النظرية على الأصل العربي الجنوبي لصنهاجة، إلا أنهم يختلفون في الفرع الذي تنتمي إليه من القحطانيين، فقد جعلها ابن الكلبي والطبري[1]، من قبائل حمير المنحدرة من نسل صنهاج بن بر بن صولان بن منصور ابن الفنذ بن افريقش بن قيس أحد ملوك التبابعة.

وعلى ضوء هذه الرواية أورد ابن شداد نظرية مماثلة على سورة الأسطورة التي تناقلتها بعض نسّابة المشرق بخصوص غزو أمام الأحباش لإفريقية[2]، ويربط ابن شداد نسب أجداده بزناك بن المثنى بن المسور بن تحصب بن مالك، وينهيه إلى يشحب بن يعرب بن قحطان بن عامر.

في حين يرقى ابن النحوي مؤرخ صنهاجة بالأندلس بأصل صنهاجة إلى فرع عربي موغل في القدم من ولد صنهاج بن المثنى بن المسور بن مصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر بن سبأ[3].

ونسبها ابن أبي زرع إلى صنهاج من ولد عبد الشمس بن وائل من حمير، وقيل هي فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حمير[4].

2- التيار الثاني:

ب- نظرية علماء الأنساب البربر: لقد قسم علماء الأنساب البربر القبائل البربرية إلى مجموعتين رئيسيتين:

---

[1]- الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د ت)، ص 207.

[2]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، مرا: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1995م ص 47.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج 6، المصدر السابق، ص 152.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، طبعة اسالة، 1843 ص 75.

البرانس*، أعقاب برنس بن بر[1]، والبتر* المنحدرون من سلالة مادغيس الأبتر بن بر وسموا الجد الأعلى برّ الذي أعطى اسمه لهذه المجموعة إلى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[2]. أما شعوب البرانس فأشهر قبائلها، كتامة*، مصمودة*، أوربة*، زناتة* – المعروف عن زناتة أنها من البتر– وقبيلة صنهاجة من البرانس بحيث ذكر ابن خلدون أن أصل تسمية صنهاجة يعود إلى اسم الجد الأصغر للقبيلة الذي يدعى صنهاج أو "صيناك" بالصاد الترتيب من الزاي والكاف القريبة من الجيم أي "زيناج"، والعرب قاموا بتعريب اللفظ، وأضافوا الهاء بين النون والألف، فصار صنهاج[3].

فان الاتجاه الثاني هو الأكثر إفادة، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، أن قبيلتي كتامة وصنهاجة، المواليتين للفاطميين، وقبيلة مصمودة التي بعثت الحركة الموحدية، هي من القبائل المنحدرة

---

* **البرانس:** هم البربر المستقرون في الأراضي الخصبة والمدن، وكانوا يمارسون الزراعة، وهم حضر وكانوا يرتدون البرنس وهو لباس أبيض يغطي الرأس حتى القدمين. ينظر: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92هـ-422هـ/711م-1031م)،دار النهضة العربية، بيروت ، (د ط)، 1980، ص 19.

[1]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 201.

* **البتر:** هم سكان البوادي الرحل و سمّو بالبتر، لأن الزي الذين كانوا يلبسونه يعني البرنس كان مبتور أي بدون غطاء الرأس ينظر: إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص 19.

[2]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 32. ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (د ت)، ص 495.

* **كتامة:** من ولد كتام بن برنس، أشد قبائل المغرب ،شكلوا حليفا مهما لدعوة العبيديين بالمغرب. ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، (د ط)، 1980، ص 35.

* **مصمودة:** مجموعة من القبائل العظمى من البرانس، كان لها التقدم على غيرها قبل الفتح الإسلامي، ينظر: الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، مج 2، ج1، دار الفكر العربي، ط2، 1997، ص 1059.

* **أوربة:** قبيلة من قبائل البرانس تحتل المنطقة الواقعة بين زرهون وتازة. ينظر: الطيب محمد سليمان، المرجع نفسه، ص 1059.

* **زناتة:** قبيلة بربرية من البتر وكانت أقوى القبائل في المغرب وأكثرها عددا، كان جلهم من المغرب الأوسط، وقد نسب إليهم فسمي مغرب زناتة، وذلك لكثرة عددهم فيه، وكانت لزناتة أفخاذ وعشائر في المغرب الأدنى بطرابلس وفي المغرب الأقصى. ينظر: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، (دط)، 2010، ص 253.

[3]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 132.

من البرانس[1]، بينما عدوّها اللدودة زناتة تنحدر من البتر وكذلك الشأن بالنسبة إلى قبيلة مكناسة الأكثر قرابة منها، كما تنتمي إلى البتر قبائل، نفوسة وهوارة، وبنو دهار ولواتة، ونفزاوة التابعة للمنطقة الجنوبية من افريقية.

ويؤكد النسابة "ابن حزم " [2]و" ابن خلدون" [3]. أن قبيلة بربرية برنسية تنحدر من ولد صنهاج بن عامر بن زغراغ بن قيما بن سدور بن صولان بن مصلين بن يومين بن مصراييم بن حام بن نوح عليه السلام، ومن ثم فهما ينفيان النسب العربي اليمني لصنهاجة لعدة أسباب:

– أن النسابة لا يعلمون بوجود ابن لقيس عيلان اسمه بر أصلا ، وأن افريقش لم يغزوا افريقية إلا في أساطير مؤرخي اليمن[4].

– أن صنهاجة وجدت نفسها بدافع المصلحة ملزمة بادعاء النسب العربي حتى تجد لها مكانا مرموقا في الحياة السياسية بالمغرب الإسلامي، لاسيما أن ظهورها على مسرح الأحداث لم يتجلى إلا مع مطلع القرن الرابع هجري، العاشر ميلادي[5].

– أن مواطن صنهاجة قريبة من البربر، وإنها تشترك معهم في لهجات أعجمية بعيدة عن لسان العربي.

وبين هذا الرأي وذاك، فان أعيان صنهاجة وأمرائها وعلمائها كثيرا ما كانوا يعيبون على النسب العربي لصنهاجة، ولا يرضون عنه بديلا فهذا عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد جعفر حفيد الأمير تميم بن المعز بن باديس في تاريخه المسمى" الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان"

---

[1]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1،ص 33.

[2]– ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 495.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص 152.

[4]– ابن حزم الأندلسي، المصدر نفسه، ص 497.

[5]– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي " الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، منشأة المعارف الإسكندرية، (د ط)، 1990، ص ص 304- 305.

يؤكد أن نسبه ونسب أجداده يتصل بحمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر من عرب الجنوب[1].

وهذا الشيخ الصالح المفتي أبوا عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي يقول لما سئل عن نسبه أنه ينحدر من قبيلة صنهاجة الحميرية القحطانية[2]، وفي السياق نفسه فقد اعترف الفاطميون بالنسب العربي لصنهاجة، فما أن سمع الخليفة القائم بن المهدي بنبأ بناء زيري بن مناد لمدينة أشير حتى بارك له هذه الخطوة وقال: " مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر"[3].

[1]- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج24، تح: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)،ص209.

[2]- مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2005، ص209. بوتشيش إبراهيم القادري الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس خلال عهد المرابطين، دار الصلة، بيروت، (د ط) (د ت)، ص 9.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص ص 322- 323.

المبحث الثاني: ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث

لقد استقرت قبيلة صنهاجة البربرية في المنطقة المنحصرة بين جبال الأوراس* ومدينة تنس* حيث أنها كانت تعيش حياة متنقلة من منطقة إلى أخرى شبيهة بحياة البدو، ولم تكن في مضاربها مدن كبيرة وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين: صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب، فصنهاجة الشمال هي التي ستكون بارزة على ساحة الأحداث منذ القرن 4هـ/11م، والتي يرجع لها الفضل في تأسيس الدولة الزيرية والحمادية.

ففي مطلع القرن الرابع هجري الموافق للقرن العاشر ميلادي، وعلى وجه التحديد عندما انتزع الفاطميون افريقية من أيدي الأغالبة سنة (296هـ/909م)[1]، تقدمت تلكاتة* على غيرها من بطون صنهاجة، وهذا بفضل ملكها مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر*، الذي اتخذ القلعة المنادية بإقليم سجلماسة قاعدة لمناجزة زناتة والحد من تحرشاتها على مضارب قبيلته[2]،كما انه كم أنه قام بالأمر لابنه من بعده زيري بن مناد*، الذي كان يعهد له بمهام مدنية وعسكرية سامية.

---

* **الأوراس**: الأوراس بالتين المهملة بأرض افريقية يتكون من قبائل بربرية، ينظر: الحموي، معجم البلدان، مج1،دار صادر بيروت 1977م، ص 278.

* **تنس**: مدينة بالقرب من مليانة وهي قديمة بينها و بين البحر ميلان، وتنس هي التي تسمى تنس الحديثة أسست سنة 262هـ. ينظر: محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1 ،1975 ص 138.

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 31.

* **تلكاتة**: قبيلة بربرية تولت حكم افريقية والمغرب الأوسط نيابة عن الفاطميين، وترأست صنهاجة المتواجدة بإفريقية بالمغرب الأوسط، وكانوا بمثابة الدرع الواقي ضد زناتة وترقت تلكاتة إلى مناصب الملك. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازغية (أدوارها مواطنها، أعيانها)، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2007، ص ص 55- 56.

* **مناد بن منقوش بن مناد الأصغر**: هو مناد بن صناك بن سكاد بن ملكان بن كرت بن صنهاج الأكبر، هكذا نسبه ابن النحوي من مؤرخي الأندلس، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص 203.

[2]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، (د ط)، (د ت) ص 137.

* **زيري بن مناد**: هو زيري بن مناد الصنهاجي الحميري احد ملوك صنهاجة بالمغرب الأوسط، كان حسن السيرة. ينظر: الزركلي الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المتربين و المستشرقين)، مج2، دار العلم للملايين، 1980 ط1، ص 63.

1- زيري بن مناد وابتداء أمر صنهاجة:

كان زيري بن مناد أجمل أبناء مناد الذين كانوا مشهورين بجمالهم حتى ضرب المثل بهم، وكان طويل القامة قوي البنية حتى كان يظهر انه في عمره عشرين سنة وهو طفل في العاشرة من عمره[1].إلا أن الصراع المستمر بين زناتة وصنهاجة اثر في نشأته العسكرية وأسهم في قسط كبير في صقل شخصيته، فقد تولد لديه منذ صباه حقد كبير على خصوم قبيلته، وما كاد يبلغ الحلّم حتى ألف جيشا من بني عمه وكل من له نجدة من قبيلته، بدأ بشّن العديد من الغارات على قبائل زناتة[2]، فيقتل ويسبي ثم يوزع الغنائم بدون أن يستأثر لنفسه بأدنى امتياز، وبفضل ما كان يتحلى به من شجاعة وحزم وحسن سلوك وشهامة وتواضع مع العامة، ظهر بمظهر البطل الذي أكدت التكهنات أنه سيبرز في صفوف الصنهاجيين[3].

وعندما أصبح رجلا جمع زيري جيشا وغزا به بلاد زناتة فغارت منه بطون صنهاجة الأخرى لأنها كانت تأمل أن ملك المغرب يكون منها ولما يئست من ذلك اجتمعت لقتاله وبعد حرب طويلة انتصر زيري على أعدائه.

وأمام هذا الواقع المتأزم الذي كان البدو فيه كثيرا ما يغيرون على مضارب الحضر للاستيلاء على خيراتهم ومزروعاتهم حتى صار هذا النوع من الإغارة صفة لهم، وأضحوا ميّالين إلى سلب ما في أيدي الناس، «وصارت أرزاقهم في ظل رماحهم»[4]، فاضطرت قبائل الحضر إلى الاتحاد لدرء خطر

---

[1]- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية(تاريخها و حضارتها)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط) ،1977، ص 9.

[2]- النويري، المصدر السابق،ج24، ص304.

[3]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 41.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص 213.

الهجمات المتكررة للبدو على مواطنها، مثلما فعلت صنهاجة التي جمعت شملها ووحدت بطونها لدرع زناتة البدوية[1]،التي كثرت تحرشاتها على أراضيها.

فاجتمعت قبيلة صنهاجة ومن ولاها من قبائل المغرب الأوسط، وبايعت زيري بن مناد على الزعامة والرئاسة والطاعة، قبل أن يقدمه المنصور العبيدي باسمه على قومه أثناء حرب صاحب الحمار، فحين كثر أتباعه بمدينة أشير سنة 324هـ/936م، استقر فيها وأصبحت من أعظم المدن في المغرب الأوسط[2]، وفي هذا الموضع سنعرج على مدينة أشير باعتبارها من أعظم المدن إسهاما في صنع المجد السياسي والعسكري لقبيلة صنهاجة.

2- تأسيس مدينة أشير:

شرع زيري بن مناد في بناء مدينة أشير* سنة 324هـ/936م،و قد جلب لها الصناع والنجارين المهرة محليا[3]،و طلب من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أن يمده بالخبراء فبعث إليه بمهندس إذ يقول النويري:" واشترط أن يكون هذا المهندس يمتلك خبرة تفوق خبرة مهندسي افريقية"[4]،و استجابة لطلبه أوفد إليه الخليفة الفاطمي الحرفيين ووضع على ذمته مهندسا معماريا لا مثيل له في افريقية، كما أمده بجميع المعدات ولاسيما الحديد، ولما انتهى بناء المدينة لم يخفي الخليفة رضاه على ذلك، فقدم كل المساعدة إلى زيري الذي عمر المدينة الجديدة من أهل طبنة والمسيلة

---

[1]- النويري، المصدر السابق،ج24،ص 304.

[2]- مرمول محمد صالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط) 1983، ص 172.

* **أشير**: مدينة في جبال البربر، بالمغرب من طرف افريقية الغربية مقابل بجاية في البر وأول من عمرها زيري ابن مناد، كان سيد هذه القبيلة في أيامه وشرع في إنشائها سنة 324هـ/935م، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص ص 202-203.

[3]- رشيد بورويبة، بلقين بن زيري، مجلة الأصالة، ع8، المجلة3، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،1392هـ/ 1972م، ص20.

[4]- النويري، المصدر نفسه، ج24، ص 88.

وحمزة[1]. وسرعان ما أصبحت أشير عامرة بالتجار والعلماء والفقهاء، ومزدهرة غاية الازدهار يقال أن زيري قد ضرب النقود وأجرى رواتب العسكر حتى صار الناس يتصرفون في مبالغ طائلة من الدراهم والدنانير فبتشييد زيري بن مناد لمدينة أشير أصبح أميرا يحسب له ألف حساب ،حيث جاء بناء المدينة كنتاج في التنظيم الذي بلغه زيري في توحيد صفوف صنهاجة، وبذلك سيكون سكان صنهاجة المحيطين بها قد انتقلوا من مرحلة البدو والترحال إلى مرحلة الاستقرار والعمل في الميدان الزراعي وأصبحت سوقا رائجة وأخذ العلماء والتجار[2].

فهذه المدينة تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي ستصبح فيما بعد تابعة للدولة الحمادية وستشهد ازدهارا سريعا مع الحماديين كما سيأتي توضيحه لاحقا[3].

3- العلاقة الزيرية الفاطمية:

سلك الفاطميون* سياسة (فرق تسد) بين سكان المغرب على العموم وشجعوا هذه السياسة ونموها بمرور الزمن، رغم أنها مدعاة إلى الفرقة والتشتت، وعدم الانسجام حتى بين الموالين لهم، ولا شك أن القصد من ذلك هو العمل على خلق توازن بين هذه العناصر من السكان كي يضمنوا بقاء سيطرتهم عليها ويستغلوا كلا منها في جهة معينة، ويضربوها ببعضها إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك، كما ضربوا بعض الزعماء ببعضهم لما حاولوا التمرد والعصيان[4].

---

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 44.

[2]- الهادي روجي إدريس المصدر السابق، ج1، ص 44. وينظر: سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 247.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص9.

* **الفاطميون:** أكثر أهل العلم والنسابة يكذبون النسب الفاطمي بالعبيديين، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، 00 يمكن لقارئ أن يطالع نسب الفاطميين سواء من وجهة المنكرين أو من وجهة المؤيدين وما يثار حول ذلك من قضايا معقدة لم يصل الباحثون فيها إلى نتائج موحدة. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، المصدر السابق، ص ص 62- 63. ابن خلكان وفيات الأعيان، المصدر السابق،ج3.

[4]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تح ومرا: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان، ط3، 1983، ص 174.

لقد اعتمد الفاطميون في أول أمرهم على الكتاميين في إقامة دولتهم، حيث استندوا عليهم بالدرجة الأولى في المجال العسكري، ولما هدد البعض مصالحهم السياسية قتلوهم بدون تردد ولا شفقة، رغم التضحيات التي قاموا بها من اجل دعوتهم ولصالح دولتهم[1].

ولما رأوا بأنهم بحاجة إلى الصنهاجيين عملوا على كسب ودهم واستمالتهم[2]، خاصة أن الكتاميين حلفاءهم التقليديين الذين اعتمدوا عليهم منذ بداية عهدهم قلت هيبتهم، كما أن علاقتهم بهم أصيبت بفتور من حين إلى آخر، وعلى هذا فان مصلحتهم السياسية اقتضت كسب ود صنهاجة، إلا أن هذا لا يمنعهم قبل رحيلهم إلى مصر على إبقاء هيبة قوية لكتامة بأن ولوها على طرابلس ورفعوا عنها الضرائب لاسترضائها من جهة وكي تكون لهم عينا على الصنهاجيين من جهة أخرى.

وإلى جانب هذه العناصر الموالية لهم من كتامة وصنهاجة والتي سخروها لخدمة مصالحهم فهناك عناصر أخرى ما فتئت تشوش أمنهم وتثير الشغب ضدهم ويتمثل هذا في قبيلة زناتة التي أنهكت قواهم واستنزفت مجهوداتهم العسكرية وساومت الأمويين على حسابهم[3].

ومن هنا سعى الفاطميون لاستثمار الصراع المستمر بين البرانس (كتامة وصنهاجة)، والبتر البدو (زناتة) لتحقيق أغراضهم السياسية والمذهبية بالمنطقة عن طريق دعم البرانس وتشجيع منجزاتهم لبدو زناتة، الذين كثرت تحرشاتهم بمناطق الحضر فأرهبت الناس وسلبت أموالهم وأزهقت أرواحهم[4].

وفي الوقت الذي تمكنت فيه الخلافة الفاطمية من بسط نفوذها على مناطق واسعة من بلاد المغرب بدأت قوة صنهاجة تتنامى في المنطقة وأضحت تشكل كتلة لها وزن كبير في تفاعل الأحداث واستطاعت بفضل تنظيمها المحكم وذيوع صيت انتصاراتها أن تلفت أنظار الفاطميين إليها لا سيما

---

[1]- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص 149.

[2]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص 54.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 35.

[4]- النويري، المصدر السابق،ج24، ص ص 305- 306.

في ظل صراعهم مع أمويي الأندلس، ووجود العدو المشترك للطرفين، ممثلا في "زناتة"، إذ أن الصراع بين الصنهاجيين والزناتيين قديم ويندرج ضمن الصراع التقليدي والمستمر بين البدو والحضر[1]، للسيطرة على الطرق التجارية والأراضي الخصبة، أما الفاطميون فقد توترت علاقاتهم بالزناتيين منذ بداية الدعوة الاسماعلية[2]، وزادت سوءا عندما أعلنت زناتة ولاءها للأمويين في الأندلس[3].

- زيري بن مناد ودوره السياسي في خدمة الفاطميين:

سعت صنهاجة لتلعب دورا فعالا في المعترك السياسي والعسكري وحتى الاقتصادي، في بلاد المغرب خاصة أنها تحوز على كل الإمكانيات التي تؤهلها للاضطلاع بهذا الدور، من حصانة طبيعية وموقع استراتيجي وعصبية قبلية وجيش قوي، فوجدت في مناصرة الحركة الفاطمية متكأ للوصول لحكم المغرب[4]، وعلى رأسها زيري بن مناد الذي ظهر دوره السياسي بعد وفاة القائم بأمر الله وتولى الحكم الفاطمي ابنه المنصور[*].

وخلال سنة 332هـ/942م،ثار أبو يزيد الخارجي[*] من قبيلة بني يفرن وهي من أعظم قبائل زناتة، على الخليفة الفاطمي القائم، وقد استند أبا يزيد في بداية أمره إلى روح العصبية الموغلة في

---

[1]- أحمد مختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلة5، ع1و2 1377هـ/1957م، ص 203.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الشركة التونسية، تونس، ط2، 1986 ص 280.

[3]- مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص 129.

[4]- مرمول محمد صالح، المرجع السابق، ص 171.

[*] **المنصور**:هو ابو الظاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المردي وهو ثالث ملوكهم، بايع له ابوه القائم بأمر الله في حياته وولاه حرب أبي يزيد توفي في يوم الجمعة آخر شوال سنة 341هـ-952م، ينظر: عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص 391.

[*] **ابا يزيد الخارجي**: هو مخلد بن كيداد اليفرني، أصله من قسطيلية وولد بكوكو، احدى حواضر السودان، أخذ بمذهب النكارية وارتحل إلى تيهرت ليتعمق بمعرفة أسواره، ثم اشتغل بالتدريس والاحتساب على العامة من خلال الأمر بالمعروف النهي عن== ==المنكر، كان يجاهر بعداء المذهب الفاطمي وأخذ يدعو إلى عبد الرحمن الناصر الأموي، بالأندلس منتقلا من مكان لآخر

نفوس قبائل زناتة ذات الطابع البدوي[1]، ففتح باجة وتونس والقيروان وسوسة [2]وحاصر المهدية[3] فطلب القائم المساعدة من زيري بن مناد فبعث له زيري مائتي فارس وخمسمئة عبد ومئة حمل من القمح، هذا مما اضطر أبا يزيد إلى رفع الحصار على المهدية سنة 334هـ/945هـ[4]، على يد عصبية مناوئة لعصبية زناتة وهي عصبية كتامة وصنهاجة. وأن ظهورها على مسرح الأحداث قد غير مجرى الحرب، إذ انه أنقذ المهدية من استسلام محقق لأبي يزيد وهذا ما زاد حاجة الفاطميين المستمرة إلى الصنهاجيين بما يمثلونه من ثقل عسكري واقتصادي لتثبيت أقدامهم في بلاد المغرب وتأمين حدودهم الغربية، وهذا ما دفع القائم برد المعونة بهدية بديعة من الكساء والخيل والسروج المحلاة[5].

وفي عهد الخليفة الفاطمي المعز بن المنصور شارك زيري بن مناد في غزو المغرب الأقصى تحت قيادة جوهر الكاتب قائد الجيش الفاطمي لمحاربة القبائل التي خلعت طاعة الفاطميين وخضعت للخليفة الأموي الأندلسي[6]، إذ تمكن زيري بن مناد من فتح مدينة فاس بفضل شجاعته كما ذكره ابن الأثير في السطور التالية: «عاد جوهر الكاتب إلى فاس فقاتلها مدة طويلة ،فقام زيري بن مناد فاختار من قومه رجالا لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلا لم وقصدوا البلاد، فصعدوا على السور

على حمار في شكل متزهد لهذا سمي بصاحب الحمار، قبض عليه جيش المنصور في 336هـ،و مات متأثرا بجراحه. ينظر: المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش مرا: محمود العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ط2، 1994م، ص 242. ينظر أيضا: المقريزي، اتعاض الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا،ج1، تح: جمال الدين الشيال، مطابع القاهرة التجارية، القاهرة، ط2، 1996م ص ص 251-252. وأيضا: الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب،ج1، تح: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر 1974،ص 96.

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 9.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 10.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق،ج7، ص 9.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 10.

[5]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ،ج3، ص 299.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص .10 .

قتلوا من عليه ونزلوا إلى السور آمنون، فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه إلى السور الثاني وفتحوا الأبواب وأشعلوا المشاعل وضربوا الطبول وكانت الإمارة بين زيري وجوهر، فلما سحقها جوهر ركب في العساكر فدخل فاس"[1].

وبعد فتح مدينة فاس أضاف الخليفة الفاطمي المعز مكافأة له مدينة تاهرت*، إلى المدن التي كانت تحت يده ومن جهة أخرى أذن زيري لابنه بلقين بتأسيس ثلاث مدن في المغرب الأوسط، الجزائر وملیانة والمهدية، وأمره بقتال قبيلة مغراوة من حلفاء الأمويين التي كانت غزت جزءا كبيرا من المغرب الأوسط، فهجم بلقين فجأة على أعدائه بناحية تلمسان وانتصر على مغراوة[2].

وبعد الانتصارات التي حققها عظم أمر زيري بن مناد في المغرب الأوسط، هذا ما جعل جعفر بن علي بن حمدون يحسده على ذلك، وكان عاملا على المسيلة في نفسه ضغائن: بسبب الولايات ومحاباة المعز وتقديمه له عليهما*، وقد كان جعفر يطمح بأن يستخلفه المعز على المغرب فعظم أمر زيري مما جعل جعفر بن الأندلسي يكيد له ويتواطأ مع زناتة للوقوف في وجهه[3].

فحاول الخليفة الفاطمي المعز أن يصلح بينهما، فاستدعاهم فكانت المقابلة شديدة وانتهت بدون نتيجة، وبعد مدة قليلة استدعى المعز جعفر فلم يلبي دعوته، فأرسل له المعز رسولا فخاف جعفر وغادر عاصمته مع أخيه يحي وحاشيته وعبيده وأمواله قبل وصول الرسول وانضم إلى صفوف

---

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 354.

* **تاهرت:** اسم لمدينتين يقال لإحداهما تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت الحديثة والمسافة بينهما وبين المسيلة حوالي ست مراحل وهي تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد، ولها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة، وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب يسمى مُنْيَة، ولها نهر أخر يسمى تَانَسَ، وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار، وبلد تاهرت شديدة البرودة كثيرة الغيوم و الثلج. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص 70.ينظر أيضا: مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص 178.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 11.

* **جعفر بن علي بن حمدون:** المنعوت بالأندلسي فكان عاملا على المسيلة أبوه الذي بنى المسيلة و أضاف إلى جعفر عمل الزاب من بلاد المغرب وكان طائعا للدولة العبيدية ويخطب لهم في بلاده، وكان يعد من الملوك، ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 81. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د ت)، ص 29.

[3]- مرمول محمد صالح، المرجع السابق، ص 11.

زناتة الذين سروا به وعينوه قائد جيشهم، وعندما سمع زيري ابن مناد بخيانة جعفر بن علي بن حمدون جمع جيشا وحاربه، ولكن جعفر انتصر عليه وقتله.

4- بلكين بن زيري ومواصلة سياسة أبيه:

لم ينتهي نفوذ بني زيري بهزيمة زعيمهم زيري ابن مناد ومقتله، بل زادت صنهاجة قوة على يد ابنه بلكين*، الذي كان عليه إلا أن يواصل انجاز عمل أبيه تلبية لرغبة الخليفة الفاطمي، باعتباره الخادم الأمين له، على نصرة القضية الفاطمية ضد الزناتيين الموالين للأمويين في المغرب الأدنى، حيث قام بعمليات حربية متتالية، قد اندفع بلكين نحو الغرب محاولا في أن واحد تحقيق التوسع الذي كان يحلم به أسياده في السابق واشفاء غليل حقد قبلي قديم مرتكز على النزاع العريق القائم بين البدو والرحل وبين الحضر[1].

بعدما انتقلت زعامة قبيلة صنهاجة إلى بلكين بن زيري، كان أول عمل قام به هو الانتقام لمقتل أبيه، وكان آنذاك مقيما بأشير، فأنجده المعز بالرجال والأموال وأخرجه إلى بلاد المغرب أوائل سنة 361هـ/971م، فاستولى على مدن تاهرت والمسيلة* وطبنة* وبغاية* وبسكرة، وقتل من زناتة وجميع بطون البربر وجعل يقول:" لا أمان عندي لبربري ركب خيلا أبدا"، فاقتصرت قبائل البربر عن

---

* **بلكين:** أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو جد باديس المقدم ذكره، وسمي أيضا يوسف لكن بلكين أشهر وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على افريقية عند توجهه إلى الديار المصرية. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص 286.

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص 74.

* **المسيلة:** مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر السهر أسسها ابوا القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة 313م،و كان المتولي لبنائها على يد حمدون بن بسماك بن مسعود الجذامي المعروف بابن الأندلسي، ينظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ج1، تح: محمد السعيد العريان، ط1 ، بيروت، (د ت)، ص 170.

* **طبنة:** تقع قرب مدينة بريكة الحالية ما بين وادي بيطام و وادي بريكة على سفح الغربي للهضبة التي تسيطر على طبنة. ينظر: خلف محمد نجيب، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، رئيس المشروع صالح بن قربة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954.الجزائر،2007، ص 241.

* **باغاية:** تقع هذه المدينة الاستراتيجية في موقع يتحكم في الطريق العام المار بين جبال الأوراس جنوبا و قارة الطارق شمالا كانت هذه المدينة في مرحلة الفتح الإسلامي قلعة حصينة، ينظر: خلف محمد نجيب، المرجع نفسه، ص 239.

معارضته[1]، بعد أن قتلهم قتلا ذريعا وسبى نسائهم وأطفالهم وأجلاهم من البلاد، ثم قصد بلكين محمد بن الحسين بن خرز الزناتي الخارج عن طاعة المعز، وكان قد كثر جمعه وعظم شأنه، فظفر به بلكين وأكثر القتل في أصحابه، وقد لقي في ذلك نجاحا كبيرا.

لقد تمكن بلكين أن يواصل مسيرة أبيه بنجاح، واستطاع أن يجعل من قبيلة صنهاجة القوى الكبرى في بلاد المغرب، وذلك بفضل عزيمته ونجاحه في تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة على زناتة هذا بدون شك ما جعل المعز يستدعيه إلى المنصورية ويعينه على ولاية المغرب قبل رحيله إلى مصر سنة 361هـ/971م[2]، فعقد المعز أن يترك المغرب لصنهاجة بدلا من كتامة لان رئيسها بلكين لديه ما يمكنه من تكوين ما يسمى بالقوة الضاربة بين العائلات البربرية الكبرى[3].

قام المعز لدين الله الفاطمي بتعيين زيري بن مناد واليا على المغرب وإفريقيا ما عدا صقلية وطرابلس، وسماه يوسف وكنّاه أبا الفتوح ولقبه بسيف الدولة[4]، بعد أن عقد المعز لزيري ومنحه أعطيات سخية، أوصاه بثلاث:" ألا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا السيف على البربر، وألا يولي أحدا من آل بيته"[5]. وكان هذا آخر عهد المعز والفاطميين بالمغرب.

بعدما استوثق ليوسف أبي الفتوح (بلكين) بن زيري ملك كبير، كان هذا الحدث بداية قيام الدولة البربرية المستقلة التي استمرت إلى قيام الدولة الموحدية، فشهدت الأعوام التالية لسنة 362هـ/972م،نوعا من الوحدة، ذلك أن صنهاجة التي كان لها دور كبير في تحقيق هذه الوحدة في عهد الفاطميين، هي التي ظلت تمسك بزمام الأمور[6]، حيث أقام الأمير بلكين بن زيري بعقد

---

[1]- مجهول، مفاخر البربر، ص 135.

[2]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 81.

[3] - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 244.

[4]- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 311. ابن خلدون، العبر، ج 6،ص 206.

[5]- ابن خلدون، نفسه، ص 206. ابن خلكان، المصدر السابق،ج1،ص 286.

[6]- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)، دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2 1411هـ/1991م، ص 40.

الولايات العامة للعمال على البلاد ويباشر أعمال الدولة، ويطيّب قلوب الناس من إقامته بالمنصورية، فزاد ملكه واتسع سلطانه[1].

شهدت فترة حكم بلكين بن زيري (362- 373هـ/972- 983م)، نجاحا كبيرا في القضاء على محاولة زناتة بالمغرب الأقصى بقيادة زيري بن عطية المغراوي الزناتي[2]، كما انه تمكن من الاستيلاء على فاس وسجلماسة وما جاورها وطرد عمال بني أمية[3]، زيادة عن ذلك فقد نجح سنة 369هـ/979م، في طرد أمراء مغراوة كمحمد بن الخير ومقاتل وزيري ابني عطية وخزرون بن فلفول من المغرب الأوسط[4]، كذلك وقد اضطر هؤلاء الزناتيون المطاردون إلى أن يعملوا كتابعين للمنصور بن أبي عامر والي الأندلس القوي، ويستمدوا من قوله قوة[5].

أما بلقين فما وصل إلى الجبل المطل على سبتة إلا بصعوبة كبيرة لأنه وجد في طريقه غابات مشتبكة الأشجار[6]، ويقال انه لما عاين سبتة من مستشرفه، ورأى اتصال المدد من العدوة إلى معسكرهم لما قال: " هذه أفعى فغرت إلينا فاها"[7]، وكرّ راجعا على عقبه، وانصرف متوجها نحو البصرة ففتحها ونهبها ثم توجه نحو أصيلة وحارب قبيلة برغواطة وتغلب عليها وقصد مدينة سجلماسة التي كانت سقطت من جديد بين أيدي زناتة، وبعد فتحها سار بلكين نحو الشمال فاعتل في الطريق

[1] – ابن خلكان، المصدر السابق، ص 287.

[2]– عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ص 389. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 40.

[3]– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 72.

[4] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و من يتعلق بذلك من كلام، تح: سيد كروسي حسن،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 321.

[5] – عبد الحليم عويس، نفسه، ص 40.

[6] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 16.

[7] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207.

بالقولنج[1]، وقيل خرجت في يده بثرة فمات منها، يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة سنة 373هـ/984م[2].

توفي أبوا الفتوح يوسف بن بلكين بن زيري، بعد أن حكم اثنتي عشر عاما، استطاع خلالها أن يدعم وجود الدولة وأن يفرض هيبتها وسلطانها على الأنحاء التي كانت تخضع للنفوذ الفاطمي وعارك زناته كما ذكرنا سابقا، واستطاع أن يصنع اللبنة الأساسية نحو إنشاء دولة بربرية إسلامية في افريقية والمغرب الأوسط[3].

وهكذا ترى كيف اظهر هذا الأمير نشاطا واسعا وقام بالمهمة التي عهد إليه الفاطميون القيام بها خير قيام ولكنه في الحقيقة لم يكن يخدم الخلافة الفاطمية فقط، بل كان يثبت أركان ملكه ويمهد لاستقلاله ببلاد المغرب، وبهذا يكون قد وفق في إقامة دولة بربرية مستعربة كبيرة إسلامية في بلاد المغرب ونقاط الضعف لهذه الدولة انها قامت على أساس قبلي[4].

وهذا ما اتضح لنا بعد وفاته وتولية ابنه المنصور ابي الفتوح الذي بدأ عهده بظهور بوادر الانشقاق الداخلي لدولة بني زيري[5]، فقد خالف أبا البهار ابن زيري والي تاهرت اخيه المنصور سنة 379هـ/999م[6]،و لكن كان المنصور قد نجح في القضاء على حركة أخيه ونجح في احتوائه بإحسانه بإحسانه ومعروفه، فان زناتة كانت لا تزال ترقب الأحداث منتظرة أية فرصة مواتية، وقد اضطر المنصور إلى الدخول معها في صراع طويل فاستعان فيه بأخيه ذو الخبرة والشجاعة والجرأة على سفك

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص 341. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 121. ابن خلكان، المصدر السابق ص 286.

[2]- ابن خلكان، المصدر نفسه، ص 286.

[3]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994،ج4، ص 29.

[4]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي وحضاراته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي بالجزائر من القرن 6م إلى 19م، مج 1،ج1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992. ص567.

[5]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص 98.

[6]- السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 91.

الدماء [1]،حماد بن بلكين بن زيري[2]، وباعتبار هذه الشخصية من أقوى الشخصيات السياسية والعسكرية التي ظهرت على مسرح الاحداث ببلاد المغرب، فقد لعبت دورا هاما في المعترك السياسي والعسكري للدولة الزيرية الذي أكسبها قوة ومكنها من بناء دولة،" الدولة الحمادية"، وباعتبار هذه هذه الدولة موضوع بحثنا ارتأينا إلى تخصيص المبحث الموالي حول هذه الشخصية وعلاقتها بالزيريين.

[1]– عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، مر: ابو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص 175.

[2]– حماد بن بلكين بن زيري: هو أحد أبناء بلكين بن زيري والي الفاطميين في بلاد المغرب، وهو مؤسس الدولة الحمادية درس الفقه بالقيروان، قرأ كتب الجدل و عاش مع أبيه وأخيه المنصور. ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ص 281.

المبحث الثالث: ظهور شخصية حماد على مسرح الأحداث

حماد هو أحد أبناء بلكين زيري الصنهاجي ، ولا بد أن يكون لحماد نصيبه من ارث ابيه[1]،و رغم ذلك لم ينازع أخاه المنصور في رياسة دولة بني زيري، فقد عمل تحت امرته فيذكر ابن خلدون في تاريخ الدولة الحمادية، ان المنصور عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة وكان يتداولها مع أخيه يطوفت* وعمه أبي البهار[2]، وطلب إليه أن ينهض لمواجهة ثورات زناتة، فقام بهذا الدور وأظهر قدرة وكفاءة نادرة، فكان نعم القائد شجاعة ونباهة[3]، ومن خلال هذه الصفات يكون حماد شخصية طموحة وعنيفة، لا يصدها من غايتها عاطفة أو قانون أخلاقي أو ديني، فهو لا يعرف فيها رحمة وفي الحق فان هذه الصفات، كانت سمة الكثير من ملوك صنهاجة الزيريين[4] فهكذا كان عمه زاوي بن زيري[5].

ولعل جو الانقسام والصراع على السلطة والحروب المستمرة والعصبية كان أحد العوامل التي شكلت نفسية كثير من زعماء هذه القبيلة وعلى رأسهم حماد الذي كان له دور في توطيد رابطة العصبية داخل الأسرة الزيرية في مواجهة الصراعات، وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن أساس رابطة العصبية هو ذلك الاستعداد الطبيعي الفطري، الذي يدفع الفرد إلى نصرة قريبة في الدم، والدفاع عنه والنعرة عليه، ولعل من الواضح أن الأساس الحقيقي والفعلي الذي تقوم عليه العصبية هو

---

[1]- عبد الكريم غلاب، المرجع السابق،ج1،ص 394.

* **يطوفت**: هو يطوفت بن بلكين بن زيري الصنهاجي، ولاه العزيز بالله الفاطمي نزار بن المعد على أشير سنة 373م-983م على افريقية و المغرب فخرج يطوفت بمحاربة زناتة فهزم وفي سنة 389هـ-998م، هاجمه زيري بن عطية زعيم زناتة ففر يطوفت إلى أشير. ينظر: عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض، الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980 ص 353 .

[2]- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 349.

[3]- يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ط2، 2009 ص 51 .

[4]- عبد الحليم عويس المرجع السابق ص51.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص561.

المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة، وهذا ما يفسر ربط ابن خلدون ربطا مستمرا بين العصبية والعدوان، فالعصبية عند صاحب المقدمة هي قوة المواجهة لا تبرز ولا تشتد إلا عندما يكون هناك خطر يهدد العصبة في مصلحتها المشتركة وهذا ما سيتم توضيحه لاحقا.

1- حماد ودوره في مواجهة الصراعات الداخلية والخارجية:

استطاع حماد بوسائل متعددة في هذه الفترة أن يبرز شخصيته كرجل جدير بقيادة الدولة حيث فرض نفسه على دولة الزيريين الذين استعانوا به للقضاء على مشاكلهم الداخلية والخارجية.

لما توفي المنصور (386هـ/996م)، خلفه ابنه باديس على العرش الزيري[1]، حيث كان باديس صغير السن عند موت أبيه[2]، الذي رأى أن يستمر في القضاء على خصومه الزناتيين، فأخبرنا ابن عذارى أن شهر صفر 387هـ فبراير- مارس 997م،" عقد باديس ولاية أشير لحماد بن أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي، خرج عاملا عليها"[3].ومنحه لقب نائب الأمير، وأمده بالخيل والسلاح[4]. ولم ينكر حماد خير باديس أصبح من حلفائه المخلصين وخلال عهده برز دور حماد في إخماد الثورات كزحف زيري بن عطية وقمع ثورة اعمام ابي باديس وقتال المعز بن زيري بن عطية.

أ- محاربة زيري بن عطية:

كان زيري بن عطية[5] واليا على مدينة فاس، ثم أنه " نكث على ابن أبي عامر بعد الإخلاص الإخلاص

---

[1] - الاغا بن عودة مزاري، طلوع سعد السعود (في اخبار وهران والجزائر و اسبانيا و فرنسا في اواخر ق 19م)، تح: يحي بوعزيز ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 138.

[2] - لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 322.

[3] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 358.

[4] - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 332. محمد الطمار المرجع السابق، ص 119.

[5] - ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص 362.

الشديد والوفاء الأكبر له، وطعن على ابن أبي عامر لسلبه لملك هشام[1]، فحاربه ابن أبي عامر وطرده من المغرب الأقصى فحاول زيري بن عطية أن يستولي على المغرب الأوسط.

فلما بلغ أمراء زناتة (389هـ/998م)، إلى مدينة تاهرت[2]، التي تحت إمرة يطوفت عم باديس. فنزل عليها وحاصرها، فكتب يطوفت إلى ابن أخيه باديس يستنجده، فبعث إليه جيشا يقوده محمد بن أبي العرب الكاتب. فسار هذا الجيش إلى أشير وبعد أيام قليلة خرج حماد مع ابن أبي العرب في عسكره، فوصلا تاهرت في جمادى الأول سنة(389هـ-998م)،حيث اجتمعا بيطوفت[3] فهجمت الجيوش الثلاثة على زيري بن عطية، فوقع معركة شديدة، وانتصر زيري بن عطية حسب ما ذكر ابن عذارى «حمادا كان أساء عشرة عسكره، فلما حمي الوطيس واشتد البأس ولو منهزمين فتبعتهم جميع العساكر الإفريقية»[4].

وهكذا انهزم حماد في محاربة زيري بن عطية، فكان أحسن حظ في قمع ثورة أعمام أبا باديس.

ب- قمع ثورة أعمام باديس:

كان باديس بمدينة المسيلة صحبة عمه ابي البهار بن زيري عندما اتاه خبر ثورة اعمام ابيه على يطوفت عامل اشير الذي خالفه كل من عمومته ماكسن وزاوي وجلال ومعتز وعزم واستباحوا عسكره، فأفلت منهم ووصل إلى المسيلة وأخبر باديس الذي كان منشغلا بحرب فلفول بن سعيد بإفريقية، فأمر حمادا بقمع ثورة اعمام ابيه ،فوقعت حرب شديدة بين حماد وماكسن سنة (390هـ-999م)، وفي آخر الأمر انتصر حماد وقتل ماكسن وثلاثة أولاده محسن وباديس وحباسة[5] ولجأ زاوي

[1]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 560.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 19.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 358.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 134.

[5]- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، (د ط)، 2013، ص 262.

إلى جبل سنوة [1]،ثم رحل إلى الأندلس وطلب ابو البهار من باديس[2] هكذا قام حماد بإرجاع السلم بالمغرب الاوسط فعظم شانه خصوصا بعد موت زيري بن عطية سنة 391هـ-1000م[3] فاستدعى باديس حماد إلى افريقية حيث انه كان لا يحتاج إليه في المغرب الأوسط فلبى حماد دعوته .

ج- محاربة معز بن زيري بن عطية:

أتى المعز بن زيري بن عطية الذي كان خلف أباه على راس زناتة خبر سير حماد على افريقية فاغتنم هذه الفرصة ليهجم على المغرب الأوسط ولم يزل باديس مستعينا بحماد ويستقدمه متى شاء إلى صبره [*]ويخرجه لإطفاء الثورات وفي سنة 395هـ أصيب باديس باليأس الكامل بسبب ثورات زناتة فقطعهم للطرق التجارية أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية[4]، في إمكان حكم كل البلاد التي تحت يده حكما مباشرا بسبب تعدد ثورات الزناتة وقطعهم للطرق التجارية التي أدت إلى سوء الأحوال الاقتصادية، فلم يرى بدا من التنازل الجزئي في إطار صنهاجة بأبرز شخصياتها بعده عاد بن بلكين الذي كلفه بحرب زناتة فلم يترك حماد الفرصة الفاصلة اشترط على ابن اخيه شروطا اجملت فيما يلي:

- تملك ولاية اشير والمغرب الاوسط[5].
- تملك كل ما يفتحه من بلاد زناتة وغيرها، خارج نطاق الدولة الزيرية.
- اعفاء حماد من الوصول إلى افريقية وواعده بأنه في المستقبل لا يستدعيه إلى القيروان[6].
- إن له اختيار مكان اقامته (عاصمته)كما يشاء[7].

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 209.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 19.

[3]- الهادي روجي ادريس، المرجع نفسه، ج1، ص 132.

[*] **صبرة:** وهي صنهاجة الجنوبية على بعد نصف ميل من القيروان في مقابل رقادة الشمالية، ينظر: سعد زغلول عبد الحميد المرجع السابق ، ج3، ص202.

[4]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د ط)، 1990، ص 185.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 61.

[6]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 322.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق ج2، ص322 .

وهكذا في سنة (395هـ-1004-1005م)[1]،قام حماد بقتال المعز بن زيري بن عطية، وتمكن من طرد خصمه من المغرب الاوسط واضطره إلى الرجوع إلى المغرب الاقصى وبعد الانتصارات التي حققها حماد تولى المغرب الأوسط، وفي سنة (398/1007-1008م)، اختط حماد مينة القلعة[2].

2- تأسيس قلعة بني حماد 398هـ-107م:

يبدو أن صنهاجة الوسط التفوا حول حماد لشعورهم بوحدة الخطر الزناتي كما شعر هو انه من واجبه أن يسعى إلى تأسيس عاصمة لمملكته حتى يأخذ حضه من سيرة الملوك، وبعد انتصارات التي حققها أقام عاصمة في موقع منيع شمال شرقي مِيلَة ،في حاضرة* جبل المعاضيد*، في مكان يقال له: أبا الطويل" بالقرب من جبل كتامة المسمى أيضا بجبل عجيسة، وهو اسم قبيلة من أصل برانسي استوطنت المكان[3]، وهذه العاصمة هي قلعة أبي الطويل او قلعة بني حماد[4]، وقد تأسست سنة 398هـ ونقل اليها حماد سكان مدينتي المسيلة وحمزة بعد ان خربها [5]،كما جلب اليها الجراوة وقد شهدت تلك المنطقة ازدهارا ثقافيا واقتصاديا في وقت قصير حيث قال ابن خلدون فيها" فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن، ورحل اليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم ولرباب الصنائع"[6].

وبعدما اختط حماد مدينة القلعة صار ينزل بها وبآشير وهكذا اصبح حماد صاحب مدينتين حصينتين في المغرب الأوسط، فطال صيته وعظمت هيبته هذا ما اوقد نار التحاسد والغيرة في نفس

---

[1]- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 262.

[2]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 168.

* **خاصرة:** ملتقى قمة متوسطة الارتفاع بقمة مرتفعة. ابن منظور المصدر السابق، ص 7.

* **جبل المعاضيد:** هو يبعد حوالي 36 كلم شمال شرق مدينة المسيلة و هو موقع عسكري ذو أهمية كبرى. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ،ج1، ص 254.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 49.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 62.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 350.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 19.

اعدائه[1]، الذين اخذوا يطعنون فيه ويحرضون باديس عليه، حتى خشي هذا الأخير أن يخلع حماد طاعته.

بعد الانتصارات التي حققها الزيريون في بلاد المغرب على أكتاف حماد، قام الخليفة الفاطمي بالاعتراف بالمنصور بن باديس وليا للعهد، فخصص له باديس ولاية قسنطينة[2] وتيجيست* والقصر الافريقي[3]، من ولاية عمه الحمادية، لأنه أراد استعادة جزء هام من مملكته وزيادة سلطان عاهل المستقبل، كما أراد زيادة موارده واكتساب أنصار جدد، ولكن حماد رفض التخلي عن هذه المنطقة التي يعتبرها ملكا له[4]، كما رفض الاعتراف بولي العهد لأنه سبب المشكلة، وفوق هذا وذاك قطع العلاقة مع الأمير باديس واستعد لمحاربته منكرا لسلطان الخليفة الفاطمي الشيعي الذي أقر أمر فقدانه لأرضه.

أ- الصراع بين حماد وباديس:

بعدما نجح حماد في زحزحة زناتة وبعثرتها بحيث لم تقم لها قائمة في المغرب الأوسط، باستثناء ناحيتي ما بعد تاهرت والمسيلة شرقا [5]، ومن هنا بدأ حماد يشعر بان من حقه أن يبدأ في تدعيم شخصية دولة مستقلة له ولأبنائه وكانت أولى خطواته في هذا المجال بناء القلعة وتمصيرها كما ذكرنا سابقا، ارتفعت سمة إمارة حماد وهذا ما جعل باديس يتخوف منه ويتوقع عصيانه فبعث له الامير باديس القائد هاشم بن جعفر ومعه عمه ابراهيم [6]، سنة405هـ/1014م[7]، كي يرفع حماد عما

---

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 118.

[2]- ابن خلدون، العبر المصدر السابق ،ج6، ص 209. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 563.

* **تيجست:** مدينة تقع بين القيروان وقسنطينة، وعليها سور صخر ولها رياض وبها أسواق وجامع وحمام، وبها قبائل البربر ميلة ونفزة، وقبائل من كتامة، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 63.

[3]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود بد الصمد، مرا: مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، (د ط)، 1999م، ص 189. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 63.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 323.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 62.

[6]- عمار عمورة، المرجع السابق ،ج1،ص 118.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق ،ج7،ص 118.

حازه من الأعمال[1]. فما كاد ابراهيم أن يصل إلى القلعة حتى انضم إلى أخيه حماد فاجتمعت كلمتهما ، وخلع أيديهما عن الطاعة لباديس[2]، وكانت بداية طويلة بين القوتين.

لم يتوقف حماد عند هذا الحد بل خطى خطوات اخرى اكدت نيته بالانفصال عن دولة ابن اخيه، لأن الأضرار التي لحقت بحماد في الحروب التي خاض غمارها توضح لنا مدى شرعية هذا الانفصال عنه وعن الخليفة وامتزجت بالمصلحة المادية وبرزت بسبب أسمى وهو الطابع الديني [3] ومن ومن هنا قام حماد بخطوة كبيرة نحو الانفصال حيث يؤكد لنا هذا ابن خلدون في قوله: « قتل الرافضة*، وأظهر السنة، ورضى عن الشيخين (ابو بكر وعمر)، ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع آل العباس»[4]. وتعتبر هذه الخطوة أول خروج صنهاجي عن طاعة الفاطميين وقد شكل ذلك انتصارا معنويا لدولة حماد[5].

لم يضيع حماد فرصة تواجد هاشم بن جعفر أكبر قادة باديس بقلعة (شقنبادية)[6] ،بمدينة الكاف قريبا من باجة، إذ أسرع إليه وكان بينهم حرب انهزم فيها هاشم، واستولى حماد على باجة [7] وعندما وصل حماد اليها وهو في طريقه للقاء باديس طلب أهلها منه الأمان فأمّنهم واطمأنوا إلى عهده فلما دخلها صار يقتل وينهب ويحرق ويأخذ الأموال، فكان هذا درس لكل المدن، شكل

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2 ص 322.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 377. عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 564.

[3]- جورج مارسيه، المرجع السابق ص 190.

* **الرافضة:** هم الذين كانوا مع علي رضي الله عنه ثم تركوه لأنهم طلبوا اليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: «كانا وزيري جدي فلا أتبرا منهما فرفضوه وتفرقوا عنه. ينظر: البغدادي المصدر السابق، ص 21.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج6، ص 211.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 69.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 22.

[7]- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 278.

عقبة كبيرة وضعها حماد لسياسته امام نفسه، بينما كان باديس على العكس من ذلك وفيا مع كل الذين يأمنون جانبه ويعاهدونه [1].

بعدما سمع باديس بخبر هجوم جيش حماد على قائده هاشم والانتصار عليه في باجة[2] اضطر باديس إلى تجهيز حملة عسكرية ضد عمه حماد ،و كان خروجه في ثاني يوم من عيد الاضحى 11 من ذي الحجة.405هـ/2 جوان 1015م.على راس حملة متجها إلى المغرب الاوسط ،و في طريقه إلى ذلك بلغه خبر وفاة المنصور الذي جلس لعزائه في 5 صفر.406هـ/25 جويلية 1015م[3]، ثم واصل تتبع خصمه حماد وفي الطريق تلقى الكثير من دعم القبائل ومن شق عصا الطاعة على حماد من أصحابه كبني أبي وليل، وبني حسن من صنهاجة وبني يطوفت وبني غمرة من زناتة، ففر حماد حتى اتى اشير والتي فيها نائبه خلف الحميري[4]، منعه " خلف" من دخولها وأعلن لباديس فتوجه حماد حماد إلى شلف بني واطيل[5].

استولى باديس على المسيلة وأشير وبلغ سهل السَرَسُو فأتاه رؤساء بني توجين وكثير من زناتة الناقمين على حماد، فاستظهر بهم، واجاز واد الشلف وتقاتل مع عمه مستهل جمادى الاول سنة 406هـ/1015م.فهزم حماد هزيمة مستأصلة وانتهب عسكره ولولا اشتغال عساكر باديس برفع الغنائم لما نجا حماد بنفسه متجها إلى قلعة المغيلة*، صار باديس حول عمه وحاصره بالقلعة وعزم على المقام بناحيته واشتد ذلك على حما وضعفت نفسه وتفرق عنه أصحابه وكان حماد يطمع في ان تختلف زناتة على باديس في ذلك الوقت، فاضطر إلى فك الحصار ولكن ذلك لم يحدث[6].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 69.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 118.

[3]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص 150.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 65.

[5]- مبارك الميلي، المرجع السابق ج2، ص 232.

* **قلعة المغيلة:** ربما هي دلول شمال تيهرت بحسب ما ذهب اليه الهادي روجي انظ :المرجع السابق ج1 ص 159.

[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 255.

وفي يوم الثلاثاء ليلة 29 ذو القعدة 406هـ /9 ماي 1016م. أمر باديس باستعراض الجند الذي سر به كثيرا، وفي ليلة الأربعاء 30 ذي القعدة 406هـ/10 ماي 1016م طرق باديس الموت فجأة[1] عندئذ عاد جيشه إلى المنصورية لمبايعة المعز.

ب- الصراع بين حماد والمعز وظهور بوادر الانفصال:

كان موت باديس فرصة لحماد قل ما تتاح لكثير من بُنَاة الدول الذي أنقذته من الهلاك ولولاها لما تمكن حماد من تأسيس دولة بني حماد في ذلك الظرف بالذات[2]، فاستغل حماد الفرصة ودخل إلى المسيلة واشير واستعد للحرب وحاصر باغاية[3]، فزحف المعز اليه [4]، فرحل عنها والتقوا آخر آخر ربيع الأول 406هـ-1017م[5] فاقتتلوا. فما كان إلا ساعة حتى انهزم حماد وأصحابه، فغنم أصحاب المعز مالهم وأسرو إبراهيم أخو حماد، ونجا حماد وقد أصابته جراحه وتفرق عنه أصحابه [6]، ولم يعد في مقدور حماد قوة يستطيع بها أن يواجه أبناء أخيه الزيريين، وهذا راجع إلى فساد عصبيته التي كان بناء الغلبة عليها.

ويبدوا لنا أن حماد في هذه الفترة قد غير من سياسته مع الرعية، إذ أنه استفاد من دروس المعارك التي قامت بينه وبين باديس، فلم يجد بدا بعدها من أن يتقدم إلى حفيد أخيه المنصور طالبا منه العفو والصلح[7]. ولعله أدرك أن لا أحد يستطيع منهما السيطرة على الدولة في حدودها الواسعة من القيروان حتى حدود المغرب الأقصى وأن الدولة الزيرية ستضل في حرب أبدية وقبلية ضد الزناتيين

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 323.

[2]- ابوا الفداء، المختصر في أخبار البشر،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 476.

[3]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 118.

[4]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 154.

[5]- ابن خلدون، العبر ج6 المصدر السابق ص 208./ عبد الرحمن الجيلالي المرجع السابق ج1ص 334.

[6]- سعد زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 407.

[7]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 68.

وأنصارهم الأمويين ولأن كل أمراء بني زيري بعد بلكين يطمحون إلى التخلي عن التبعية للفاطميين والاستقلال ولا يمكنهم ذلك إذا اشتغلوا بحرب داخلية بينهم.

وهكذا استقل المعز بشرق الجزائر في القيروان واستقل بنوا حماد بغرب الجزائر في القلعة[1] ويمكن اعتبار سنة 408هـ/1017م. وثيقة تأسيس الدولة الحمادية المستقلة في المغرب الأوسط[2]، وهذا ما سنوضحه في الفصل الموالي.

[1]- الهادي الروجي، المرجع السابق ج1، ص 192.

[2]- العروي، المرجع السابق ص 204.

الفصل الثاني

انقسام الدولة الصنهاجية وتأسيس الدولة الحمادية

المبحث الأول:

الصلح وإعلان قيام الدولة

المبحث الثاني:

الأطوار التي مرت بها الدولة الحمادية وفق نظرية القوة والغلبة

المبحث الثالث:

عوامل سقوط الدولة الحمادية

المبحث الأول: الصلح وإعلان قيام الدولة:

بعد انتصار باديس على عمه حماد عام 406هـ، هرب حماد إلى القلعة تاركا معسكرات جيشه التي سيطر عليها جيش ابن أخيه، فرأى حماد أن الفرصة مواتية وخاصة أن الوالي الجديد المعز بن باديس طفل عمره ثماني سنوات[1]، لكن هذا الأخير وجه إليه جيشا هزمه، فانسحب مرة أخرى إلى القلعة، ثم وجد حماد أن أفضل حل هو الصلح مع المعز.

لما استبان لحماد عجزه عن مداومة الحرب بعث إلى المعز مستسلما طالبا الأمان والسلم فقبل منه العرض[2]، مشترطا عليه إرسال ابنه القائد رهينة إلى المنصورية[3]، وبعد أن تأكد حماد بدوره على ابنه عن طريق أخيه إبراهيم الذي كان معتقلا لدى رجال المعز، منذ إحدى المعارك والتي استمرت بينهما إلى غاية 407هـ- 1017 م[4]، ومن أن رجال المعز جادون في الصلح[5]، ثم رجع المعز إلى المنصورية يوم 30 جمادى الأولى 408هـ/24 أكتوبر1018م، فأطلق سراح إبراهيم وأهدى له خيلا ومالا ودواب[6].

فلما وردت هذه الإخبار على حماد بعث ابنه القائد ومعه هدايا نفيسة، فوصل هذا الأخير يوم 15 شعبان 408هـ/ 5 يناير 1018م، فأكرمه المعز وغمره بإحسانه، وعلى ذكر ابن أبي دينار أجريً على القائد" في إقامته كل يوم ثلاثة ألاف درهم وخمسة وعشرون قفزا شعيرا لدوابه ودواب

---

[1]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، (دط)، 2004، ص159. عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 263.

[2]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 334.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 405.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

[5]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 259.

[6]_ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 33

أصحابه، وخلع على أصحابه مائة خلعة وأعطاه ثلاثين فرسا بسروج الذهب ومن الثياب المثقلات مالا يدخل تحت حصر"[1].

كما أقطعه المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت، وما فتحه من بلاد المغرب وعقد المعز للقائد بن حماد على طبنة ومرسى الدجاج وبلاد زواوة ومقرة ودكامة[2]، وبلزمة وسوق حمزة[3]، وأعطاه شعارات الولاية من البنود والطبول[4]، وصرفه إلى أبيه حماد بالقلعة في 4 رمضان/ 24 يناير 1018م، 1018م، وبذلك يكون حماد قد دخل في طاعة المعز شكلا على الأقل، حيث كان ابنه القائد يتردد إلى المعز ما بين الحين والآخر، وتأكد الوفاق بالمصاهرة حيث زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد[5].

وإثر إتمام الإتفاق بين المعز وحماد وابنه القائد سنة 408هـ-1018م، وانعقاد الصلح، فإن المعز كان يستطيع أن يبعث رسالة إلى قبائل البربر وغيرهم ممن كانوا غير ملتزمين بالطاعة، فيرجعون إلى الهدوء والسكينة مع ردع المفسدين منهم بالحرب والقتل، الأمر الذي أدى إلى سيادة الأمن والسلام بين سائر القبائل[6]، وهنا رفعت الحرب وأوزارها واقتسموا المظلة والتحموا بالأصهار[7] وافترق وافترق ملك صنهاجة إلى دولتين، الدولة الزيرية في القيروان، ودولة بني حماد في القلعة[8]، هذا ما تطرق تطرق إليه ابن خلدون في مقدمته فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين[9].

---

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 82.

[2]- أبو الفدا، المصدر السابق، ج1، ص 259.

[3]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 324. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 563.

[4]- حسن خضير أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب(362هـ-567هـ/973م-1171م)، مكتبة مديولي ، القاهرة، ط1، د س ، ص 77.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 70.سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 408.

[6]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص 209.

[7]-ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 210.

[8]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق:محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، (د ط)،(د س)، ص 234. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ج3، ص 408. رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 34.

[9]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 239.

اقتطعت الدولة الحمادية جزءا غير قليل من ممتلكات الدولة الزيرية وبذلك فقد المعز بن باديس السيطرة على الجزء الأكبر من دولته، في الوقت الذي صار فيه حماد حاملا للواء السنة في المغرب الأوسط[1]، لأن المذهب الشيعي في الإعتقاد والتشريع لم يكن ليسيطر على القيروان وضواحيها، ناهيك عن بلاد المغرب ككل بل إن السيطرة كانت في المجال السياسي فحسب وهذه الصبغة نجدها في إفريقية، لكن كلما سرنا نحو الغرب حيث إمارة بن حماد ومناطق زناتة وقبائل أخرى إلى الشرق من فاس، وجدنا الولاء يتوطد لصالح الأمويين بالأندلس الذين نزعوا إلى المذهب المالكي في كل شيء، وصارت الرعية على العهد الحمادي على المالكية تدرس موطأ مالك ومدونة سحنون [2]وعقيدتها عقيدة أهل السنة والجماعة[3].

الظاهر أن رجلا مثل حماد في علمه وفقهه[4]، حينما اعتنق المذهب المالكي وأعلن الولاء للعباسيين لم يكن ليفعل ذلك إلا بقناعة شرعية وفتوى صارمة، وبعد تأسيسه للقلعة أصبحت تعج بالمذاهب باعتبارها كانت مركزا مهما في طريق التجارة، كما تميزت بالتسامح الديني والحرية المذهبية وهذا ما يظهر في تنوع القائمين على التجارة والحياة الاجتماعية بها[5].

كان للكيان الحمادي اليد الأولى والحظ الوافر في إحداث الانقلاب نحو المذهبية السنية، وإظهارها منذ تأسيس القلعة سنة 398هـ وإعلان الانفصال سنة 405هـ، ثم الاتفاق مع المعز سنة

[1]- حيسن خضير أحمد، المرجع السابق، ص 78.

[2]- عبد القادر بوعقادة، التحول المذهبي في العهد الصنهاجي الحمادي الزيري وأثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة التاسع عشر، العدد 74، جمعية المساجد للثقافة والتراث، دبي، 2011، ص 14.

[3]- أهل السنة والجماعة: هو الذين عاناهم الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الفرقة الناجية فقال الجماعة: وقال ما أنا عليه وأصحابي، فكانت تسميتهم لذلك أهل السنة والجماعة، البغدادي، المصدر السابق، ص 26 .عبد المؤمن الحنفي، موسوعة الفرق والجماعات والفرق الإسلامية، دار الرشاد، الإسكندرية، ط1، 1413هـ-1993م، ص ص 87-88.

[4]-عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 268.

[5]-عبد القادر بوعقادة، المرجع نفسه، ص 15.

408هـ، من طرف حماد، الذي تميز عهده بالبناء والتشييد لأسس الدولة، وكانت تمهيدا للقائد بن حماد كي يتسلم من بعد أبيه العظيم دولة ثابتة الأركان قوية البناء[1].

المبحث الثاني: الأطوار التي مرت بها الدولة الحمادية وفق نظرية القوة والغلبة:

مرت الدولة الحمادية كغيرها من الدول بعدة أطوار تقلبت فيها من الصراع الطويل المستمر إلى الاستقرار النسبي والإبداع الحضاري إلى مجرد الاستهلاك المقترن بمظاهر الترف، فالأفول.

إننا لا نستطيع أن نزعم أن ثمة حدودا مادية أو زمنية ملموسة تفصل بين هذه الأطوار في الحياة الدولة الحمادية[2]، فالانتقال إلى طور التحضر الذي برز منذ الناصر، ليس من السهل فصله عن المرحلة السابقة، مرحلة الصراع مع الأعداء المحيطين بالدولة ومحاولة البناء الداخلي، إذ أن المرحلة السابقة كانت التمهيد الطبيعي بل الضروري لإبراز الدور الحضاري.

كما أنه لا يمكن القول بأن مرحلة الصراع السياسي قد خلت تماما من كل خصائص مرحلة الاتجاه إلى التحضير، أو أن مرحلة التحضير[3] قد خلت من كل خصائص مرحلة الصراع، والأمر نفسه بالنسبة لمرحلة القابلية للانهيار، وفي الأخير لا نشك في أن هذه المراحل مترابطة، وأن كل مرحلة منها مكملة للمرحلة الأخرى.

لقد حكم الدولة الحمادية على امتداد فترة 408هـ- 548هـ، تسع أمراء[4] اختلفوا في القوة والضعف، وأسلوب الحكم وقد كان حماد مؤسس الدولة أول أمرائها [5]، الذي يحمل أكبر قسط في مرحلة الصراع، سواء مع الزيريين أو مع زناتة[6]، كما ذكرنا سابقا، ثم خلفه ذريته من بعده إلى أن جاء

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 114.

[2] - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 111.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص 141.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 333.

[5]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص239.

[6]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 197.

جاء يحي بن العزيز الحمادي سنة 115-547هـ/ 1121-1152م[1]، فكان تاسع وآخر أمراء هذه الدولة.

والصفة البارزة في أمراء هذه الدولة مع بعض الفروق، هو أنهم كانوا غلاظا أقوياء، تغلب عليهم النزعة القبلية[2]، وامتلاك كل أزمة السلطة، وكانوا بحق يمثلون في أسلوب حكمهم وفي تعاملهم مع الشعب النمط البربري في الحياة وفي القيادة، ذلك النمط العنيف الذي يضحي في سبيل السلطة بكل شيء.

1- مرحلة الصراع لإبراز الرقي الحضاري:

أ- الصراع الحمادي الزيري:

لقد نجح حماد بن بلكين بن زيري في إقامة دولة له ولبنيه[3]، منذ سنة 408هـ-1017م[4]، وقد وقد استعان حماد في إقامته دولة بكل الطرق الممكنة، وساعدته عوامل ذكرناها سابقا على الوصول لهدفه.

وبقيام الدولة على أساس الصلح بينها وبين الزيريين أبناء عمومتها[5]، دخلت في فترة سلام معهم، امتدت قرابة ربع قرن أي من 408هـ_419/ 1017م-1028م، كما شغرت فترة حكم ابنه القائد، وقد ساعدت عدة عوامل على أن يستقيم أمر الدولة في الحقبة الأولى من عهد القائد، ومن أبرز هذه العوامل أنه لعب دور السفير والرهينة التي بواسطتها تم الصلح، كما أشرنا سابقا، فلم

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91.
[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 218.
[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 89.
[4]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 192.
[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 112.

يصلنا خلال هذه الفترة ما يدل على وقوع خلافات بين فرعي صنهاجة الزيريين مما جعلنا نرجح أن هذه الفترة كانت تنظيما للقواعد الأساسية للدولة.

ليتجدد الصراع بعد الحقبة الأولى من عهد القائد الحمادي سنة 430هـ-1040م، خرج المعز إلى القلعة وحاصرها مدة سنتين[1]، وانتهت هذه الفترة بعفو المعز بن باديس على القائد ورجوعه إلى افريقية[2]، فقد استقرت العلاقة بين الزيريين والحماديين لفترة ما كان يسودها السلام قبل حصار القلعة سنة 432هـ-1040م[3]، بالرغم من أن القائد الحمادي قاطع دعوة العباسيين وراجع دعوة العبيديين[4].

وفي سنة 434هـ-1042م، تم عقد الصلح بين القائد الحمادي وابن عمه[5]، وفي أيام محسن وبلكين بن محمد لم تقع أي أحداث بين الزيريين، ولكن بعد تولي الناصر بن علناس وتميم بن المعز الزيري الحكم ، ازداد الانشقاق أكثر في معركة سبيبة[6] سنة 457هـ-1065م، حيث أشار عبد الحليم عويس بقوله:" بأن السياسة الحمادية منذ عهد الناصر بن علناس، كانت بعيدة كل البعد عن محاولة الاتفاق الجدي مع أبناء العمومة"[7].

وكانت هذه المعركة من أبرز المعارك التي خاضها الناصر بن علناس، ارتبطت مباشرة بالتوغل بالأراضي الزيرية، حيث نجده أخضع ثلاث مناطق من إفريقية، وهذا بعدما لحق بالمعز بن باديس الانهزام في حيدران[8]، سنة 443هـ-1051م، وهنا نذكر ما قاله ابن عذارى: "...ثم برز المعز للقاء

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 275.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 44.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 114.

[4]- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 141.

[5]- الهادي الروجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 195.

[6]- **سبيبة:** ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان، ينسب إليها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السبيبي الخطيب بالمدية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 186.

[7]- عبد الحيلم عويس، المرجع السابق، ص 170.

[8]- **حيدران:** جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام. ابن الاثير، المصدر السابق، ج8، ص 296.

العرب الواصلية من المشرق، وجرد عساكره، وقدم عليه ابن سلبون، وزكنون بن وعلان، وزيري الصنهاجي، وعاد إلى القيروان، فلما كان عيد النحر[1] انهزمت صنهاجة وقتل الكثير منها، فخرج هو بنفسه إليهم وانتشبت الحرب بينه وبين العرب فهزمه العرب..."، وتعود أسباب هذه المعركة إلى الهجرة الهلالية بعد خلع المعز بن باديس الزيري طاعة الفاطميين، ودعوته لبني العباس، على عهد ولاية المستنصر بالله الفاطمي، فدبر وزيره اليازوري فكرة إجازة عرب صعيد مصر إلى إفريقية هادفا من خلالها إفساد بلاد المغرب الأوسط بعد أن إستحكمت قواها[2]، وقد هدف الناصر بن علناس من خلال هذه المعركة إلى تحقيق هدفين:

أ- مفاجأة الزيريين والتوسع على حساب ممتلكاتهم وهو ما حدث بإعلان مدينة تونس إلى الانضمام للدولة الحمادية 451هـ-1053م[3] وتعيين عبد الحق بن خرسان واليا عليها.

ب-وضع حد للتوسع الهلالي بالمغرب الأوسط.

ويرجع سبب توتر العلاقة بين تميم صاحب المهدية والناصر صاحب القلعة إلى تدخل هذا الأخير في شؤون إفريقية فكان كل منهما يرى أحقيته في الملك والتمسك بالوحدة الصنهاجية[4]، وذكر وذكر ابن خلدون أن سبب هجوم الناصر على إفريقية هو أن قبيلة الأثبج[5] التي كانت تحارب قبيلة رياح[6] طلبت منه المساعدة فأجابها ونهض إلى مظاهرتها[7].

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 291.

[2] -ابو عبد الله الصنهاجي، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد الندوي، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 70-71.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 171.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 452.

[5]- **الأثيج**: كان هؤلاء الأثيج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا من بطون الأثيج الكثيرة كان لها وجود مؤثر في إفريقية خلال خلال القرن 11م. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 27.ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 275.

[6]- **رياح**: من أبرز قبائل بني هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية وينتسبون إلى رياح بن ربيعة بن هلال بن عامر، تولى الرئاسة الرئاسة عنهم مؤنس بن يحي.النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 343.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج3، ص 355.

أما ابن الأثير فقال:" إن تميم زيري سمع بأن الناصر يقع فيه في مجلسه ويذمه وأنه عزم إلى المسير إليه ليحاصره بالمهدية، وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية"[1].

وفي رأينا رواية ابن الأثير أقرب من الحقيقة من رواية ابن خلدون لأن الأمير الزيري تميم بن المعز الذي كان خلف أباه في سنة 454هـ-1062م، ما كان يملك إلا المهدية والناصر بن علناس استولى على تونس وصفاقس وقسطيلية[2]، ولذلك مثلت معركة سبيبة فترة توتر في تاريخ العلاقات الزيرية الحمادية إذ أنها أبانت عن تحالف الزيريين مع القبائل الهلالية من رياح وزغبة وتحالف الحماديين مع عدي والأثبج وهنا رأى تميم أن يستخدم أسلوب الكيد والوقيعة ، وذلك بأن يثير حلفاؤه وأصهاره الرياحين على الناصر[3]، فأرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم فقال لهم "أن المهدية في البحر يحميها في في البر أبراج عليها أربعون رجلا وأن الناصر يحشد إليهم، فوافقوه شريطة أن يقدم لهم المعونة، فأعطاهم المال والسلاح والرماح والسيوف والدروع فجمعوا قومهم وتحالفوا على حرب الناصر"[4].

إذ خرج عدد كبير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثيج فلقيتهم رياح وزغبة[5] وسليم[6] فالتقى الجمعان بسبيبة في سنة 457هـ-1065م[7] فانهزم الناصر، وقتل من أصحابه خلق كثير ونهبت أمواله

---

[1]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج 8، ص 101.سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 453.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 62.

[3]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج 8، ص 373.

[4]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 453.

[5]- **زغبة**: هذه القبيلة من إخوة رياح كانت لهم كثرة عند دخولهم إفريقية، وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس، تشمل على قبائل كثيرة منها: بنوا يزيد الذين نالوا العناية من الدول،ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 48-49.

[6]- **سليم**: بنوا سليم هم من قيس عيلان، هو ولد سليم بن المنصور ابن عكرمة من خفصة بن قيس بن عيلان، و إليه يرجع كل كل سلمي، كانت مواطنهم الأولى في الجاهلية، وصدر الإسلام بعالية نجد. القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: دار إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982، ص 123.

[7]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 455.إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 166.

أمواله ومضاربه[1]، وفر الناصر مع عشرة من جنوده وخلال المعركة مات القاسم بن علناس أخوا الناصر وقدر عدد القتلى من صنهاجة وزناتة أربعة وعشرون ألفا[2]، أما بالنسبة للعرب فقد غنمت جميع ما كان في المعسكر الحمادي من مال وسلاح ودواب واقتسموها[3].

وبعد الانتهاء من معركة سبيبة ظهرت بوادر من الطرفين الحمادي والزيري للجوء إلى الاتفاق إذ كلف الناصر وزيره أبا بكر من أجل إجراء مفاوضات الصلح مع تميم بن المعز، حيث أرسل الناصر أبو بكر بن الفتوح رسولا إلى تميم من أجل إصلاح العلاقات مع الحماديين فاختار المعز زيري محمد بن البعبع فسار هذا الأخير في 460هـ-1067م متوجها إلى المغرب الأوسط مع الرسول الحمادي[4] الحمادي[4] وفي طريقه أعجبه مكان قرب صيادي السمك، ولما وصل إلى قلعة حماد سلم كتاب تميم إلى الناصر أشار عليه بأن يتخذ بجاية دار ملكه، وبالفعل ذهب الناصر إلى بجاية ليرى المكان وبذلك شرع في بناء العاصمة الجديدة[5].

بعد هزيمة الناصر في معركة سبيبة قام الأمير الزيري تميم باستعادة تونس التي كانت قد خضعت من قبل الأمير الحمادي الناصر، هذا ما دفع الناصر بالهجوم من جديد على إفريقية سنة 460هـ-1068م[6]، فحاصر الناصر مدينة الأربس بمساعدة الأثبج من العرب، فاستولى عليها وفي نفس السنة السنة دخل إلى القيروان، حيث خضع له والي المدينة القائد بن ميمون[7]، وفي سنة 461هـ-

[1]- ابن الاثير، المصدر السابق، ج8، ص 373.
[2]- المصدر نفسه، ص 373.
[3]-سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 456.
[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 296.إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 169.
[5]- إسماعيل العربي، دولة بني حماد، المرجع السابق، ص 168.
[6]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 358.
[7]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 60.

1069م غادر الناصر القيروان ورجع إلى قلعة بني حماد، وبعدها تمكن الأمير زيري من استعادة القيروان، وفر القائد بن ميمون إلى المغرب الأوسط[1].

ثم حدث صلح بينهما بمصاهرة الناصر، حيث تزوج الناصر ابنة تميم بن المعز بلارة[2] سنة 470هـ-1077م وبنى لها قصر أطلق اسمها عليه فدعاه قصر بلارة[3].

وفي أيام المنصور وباديس لم يذكر المؤرخون أي حدث وقع بين الحماديين والزيريين ولكن استأنفت الهجمات على إفريقية في عصر العزيز حيث غزا جزيرة جربة، ومدينة تونس التي كانت خاضعة للسلطة الحمادية بعد معركة سبيبة[4].

أما في عهد يحي بن عبد العزيز فإنه حاول أن يفتح المهدية، فأخفق لحصانتها وهاجم تونس فاحتلها واعتقل صاحبها أحمد بن عبد العزيز[5]، وولى عليها عمه كرامة بن المنصور [6]، وفي سنة 543هـ استطاع النورمان أن يدخلوا المهدية، فانفصل الحسن الزيري الصنهاجي عنها وتوجه إلى بجاية فاستقبله القائد بن عبد العزيز، ومن خلال هذا يتضح بأن تونس ومنطقتي صفاقس وجربة كانت تمثل مناطق نزاع بين الدولتين[7].و في سنة 509هـ-1115م زوج الأمير يحي بن تميم ابنته بدر الدجى للعزيز بن منصور[8].

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 299-300.

[2]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج8، ص 300.

[3]- رابح بونار، المغرب الكبير تاريخه وحضارته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، (دط)، ص 214.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 118.عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 382.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 175.

[6]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 241.

[7]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 461.

[8]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 306.

ب- الصراع الحمادي ضد الهجوم المرابطي الزناتي:

كان هناك صراع شديد بين بني حماد وزناتة بصفة عامة وأمراء فاس بصفة خاصة[1]،لأن زناتة لديها بطون كثيرة وكلها تتصارع على الرئاسة والنفوذ، وقد استطاع حماد خلال ولايته كما ذكرنا سابقا، أن يطرد المعز بن زيري بن عطية إلى المغرب الأقصى.

وفي فترة حكم القائد بن حماد تمكن من منع طموح زناتة سنة 430هـ-1038م[2]. بقيادة الأمير المغراوي حمامة بن زيري أمير فاس[3]، حيث قام القائد بتوزيع مبالغ مالية خفية على الجنود الزناتيين، ولما علم حمامة بذلك خاف أن يتخلى الجنود عنه، فرجع إلى فاس بعدما طلب الصلح من القائد واستسلم له[4].

وفي سنة 450هـ- 1058م خرج بلكين لمحاربة زناتة بمساعدة الهلاليين وهم قبيلتي الأثبج وعدي[5]، حيث تمكن بلكين من الانتصار وقتل عدد كبير من الزناتيين، أما في فترة حكم الناصر قام بالقضاء على المنتصر بن خزرون الزناتي[6]، فكان المنتصر قد خرج من مصر في أيام الفتنة التي وقعت بين الترك والمغاربة، فوصل إلى طرابلس، فوجد بها قبيلة بني عدي التي طردت من إفريقية من قبل الأثيج وزغبة[7]، فرغبهم في بلاد المغرب وسار بهم حتى نزل المسيلة وفتح أشير، فخرج إليه الناصر، وفر وفر المنتصر إلى الصحراء[8]، ولكنه كان من حين إلى آخر يخرج منها ويغزو ناحية الزاب[9]، فطلب منه

---

[1]- رشيد بورويبة ، المرجع السابق، ص 118.

[2]- الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 195.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 176.

[4]- الهادي الروجي إدريس، المرجع نفسه، ص 195.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 155.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 205.

[7]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص 253.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 71.،

[9]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 206.

منه الناصر الصلح واقطعه ضواحي الزاب، لكنه قتل في الأخير من طرف عروس بن سندي رئيس بسكرة باتفاق مع الناصر[1].

وبجانب المستنصر بن خزرون هناك أمراء زناتة آخرون قتلوا في هذه الفترة في عهد الناصر منهم أبو الفتوح بن حبوس أمير المدية، ومعنصر بن حماد من ناحية الشلف[2]، فكان هذا الأخير هجم على مليانة وقتل شيوخ بني ورسفان، فكاتبهم الناصر ابن حماد وقتلوه وبعثوا برأسه إلى الناصر فنصبه على رأس القصر ببجاية[3] سنه 460هـ[4].

لقد اتبع الحماديون مع زناتة عدة وسائل سياسية للتفريق بين بطونها المختلفة وقد أثر الحماديون على بطون زناتة وبني ومانو واستمالوهم[5]، كما اتبعوا وسيلة المصاهرة مع أبناء عمومتهم فتزوجوا مع أخوات ماخوخ رئيس بني ومانو[6].

وتتبع الناصر أمراء زناتة بالقتل، وكانت غمرت ومغراوة قد ظاهرت الأثبج وبنو توجين ظاهروا عديا، فجهز ابنه المنصور إليهم، فشتت جموعهم، وفتح مدينة ورقلة، "وبعث سراياه وجيوشه إلى بلاد ورقلة وولى عليها، وقفل بالغنائم والسبي"، أما الغارة الثانية التي قام بها المنصور في عهد أبيه فكانت موجهة ضد قبيلة بني توجين المتحالفة مع الهلاليين بني عدي، فانتصر فيها المنصور، وأسر أميرهم مناد بن عبد الله وآخاه زيري وعميهما الأغلب وحمامة، فلما حضروا بين يدي الناصر وَبّخهم ثم قتلهم[7].

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 176.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق،ص 71.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 207..

[4]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 254

[5]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 207.

[6]- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 174.عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 119.

[7]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 3. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق،ج6، ص 357.

وفي سنة 481هـ-1089م، مات الناصر بن علناس بقصره في بجاية ودفن بها وولى الملك بعده ابنه المنصور[1]، الذي بقي عليه أن يحدد سياسة تجاه أطراف الصراع في المغرب، من الزيريين والزناتيين والقبائل العربية.

لقد كان الصراع بين هذه القوى يأخذ طابع النفاق السياسي إلى جانب المواجهة العسكرية إذ تطلب الأمر فعندما مات الناصر وخلفه ابنه المنصور وصلته كتب من يوسف ابن تاشفين زعيم المرابطين، ومن تميم بن المعز، وغيرهما بالتعزية والتهنئة[2]، فيعتبر هذا العمل في ذلك الوقت عملا وديا كان يمكن أن يساعد على خلق جو من التفاهم بين أطراف الصراع، لكن شبهة تدخل الطرفين في الثورة الداخلية ضد المنصور كشف عن النية الحقيقية لدى المرابطين والزيريين، والأدهى والأمر أن يحدث في عهد المنصور تلاحم مصلحي بين زناتة والمرابطين.

وفي ظل هذه الظروف سار المنصور تجاه زناتة على نفس الدرب الذي مهده أبوه، فتزوج من بنت ماخوخ زعيم بني ومانو[3]، وكانوا بنو ومانو وبني يلومي[4] من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة، ولما ولما غلب بلكين بن زيري مغراوة وبني يفرن على المغرب الأوسط، وأزاحهم إلى المغرب الأقصى، بقيت هاتان القبيلتان بموطنها واستعملتهم صنهاجة في حروبها[5].

بعدما فتح المرابطون تلمسان تحالف بنو ومانو وبنو يلومي معهم وشبت بينهم وبين الحماديين حرب طويلة حيث هجم المرابطون على المملكة الحمادية، فسار إليهم المنصور في جيوشه وخرب قلعة

---

[1]- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 175.

[2] -عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 142. رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 73.

[3]- عبد الحليم عويس، نفسه، ص 143.

[4]- **بنو ومانو و بني يلومي:** هاتان القبيلتان من قبائل زناتة و من توابع الطبقة الأولى ولم تقف على نسبهما إلى جانا الا ان نسابتهم متفقون على ان يلومي و و رتاجن الذي هو ابو مرين اخوان و انم ديون اخوهما للام ذكر ذلك غير واحد من نسابتهم. و بنو ومانو منهم الى جهة المشرق عن من وادي ميناس و مرات و ما اليها من اسافل شلف و بنو يلومي بالعدوة الغربية منه بالجعبات و البطحاء و سيد و سيرات و جبل هوارة و بني راشد.ينظر:ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص 74.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 76.

بني ومانو وتغلب على والي تلمسان حتى اضطر الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين إلى طلب الصلح[1].

لكن هذا الصلح لم يضع حدا حقيقيا لأطماع المرابطين، فسرعان ما عادوا إلى شأنهم، فعاثوا في بلاد المنصور، فسير إليهم جيشا تحت قيادة ابنه عبد الله، وعندما سمعوا بقدومه رجعوا إلى المغرب الأقصى، ولم يعد عبد الله إلا بعد أن شن الغارة على بنبي يلومي وبني ومانو من زناتة.

طيلة عهد المنصور ظلت السياسة المرابطية تقوم على الرغبة في التوسع شرقا على حساب بني حماد، ولم يكن تعميق وجودهم في تلمسان والغرب الجزائري إلا رغبة في تحقيق هذا الأمل.

وبالتالي فقد لعبت تلمسان دور المنفذ الذي يدلج منه المرابطون إلى الدولة الحمادية بين الحين والحين متخذين ماخوخ الزناتي كحامل راية الانقضاض[2]، وكان هذا الأخير لن يعلن انقضاضه حتى تفتح له تلمسان أبوابها التي كان على أمرها محمد بن يغمر[3] واليا، اللذان كانا يحاصرني الجزائر، وبعد موت محمد بن يغمر، استمر الصراع بين المرابطين والحماديين. فولى يوسف بن تاشفين أخا الوالي السابق تاشفين بن يغمر، على تلمسان الذي تمكن من افتتاح أشير[4]. وفي ظل هذه الظروف تحرك المنصور لصد هذا الهجوم المرابطي الزناتي، مستثيرا كل القوى التي يمكن استثارتها ضد المرابطين في المغربين الأوسط والأدنى، وقد تمكن من إعداد جيوش عظيمة يقدرها ابن الخطيب باثنتي عشرة محلة[5]، محلة[5]،

ويقدرها ابن خلدون بنحو عشرين ألفا[6]، وقد اشتملت جيوشه إلى- جانب صنهاجة -على على قبائل الأثيج وزغبة وربيعة من العرب7، ثم نهض إلى تلمسان مصدر القلق له ولدولته وكان

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 74.
[2]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 144.
[3]- رابح بونار، المرجع السابق، ص 214.
[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 360.
[5]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 350.
[6]- ابن خلدون، المرجع نفسه، ص 360.

تاشفين صاحبه حيث رأى هذا الأخير أن لا طاقة له بالمنصور فأفرج له عنها وخرج إلى تسالة، إلا أنه التقى بعساكر المنصور الذي هزمه في جبل الصخرة، ثم زحفت هذه العساكر إلى تلمسان واستولوا عليها[1].

لم يفرج المنصور عن تلمسان إلا تحت ضغط عاطفي، إذ توسلت إليه " حوا" امرأة تاشفين التي انكبّت على رجليه تستعطفه، وتذكره صلة الرحم الصنهاجي، لرفع محنة الجند عن البلد، فعفا عنها وقفل راجعا إلى بلاده[2]، فلم يعد من تلمسان إلا بعد أن حارب زناته وشردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط[3].

وولى بعد المنصور ابنه باديس الذي لقي حتفه العاجل قبل أن يستكمل السنة من حكمه، إذ توفي في السنة التي ولي فيها ثالث عشر من ذي الحجة 498هـ-1105م[4]، وولي بعد أخوه العزيز الذي كان مجرد امتداد لأبيه وجده الناصر في تحديد علاقة الدولة بجيرانها، حيث صالح زناتة وتزوج ابنة ماخوخ[5].

- **سياسة الحماديين مع الأعراب الهلالية:**

في سنة 442هـ-1050م، دخلت القبائل الهلالية إلى أرض المغرب ولقد كان السبب المباشر لهذا الغزو خروج المعز بن باديس على الخليفة المستنصر الفاطمي، وقطعه الخطبة للفاطميين، ولعنهم على المنابر[6]، وخلافه مع وزير المستنصر المعروف باليازوري[7] اخطر الأمير الزيري إلى اختيار خليفة

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 209.
[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 145.
[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 77.
[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 148.
[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 361. رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 80.
[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 44.
[7]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 177.

يخضع له فاختار الخليفة العباسي لأنه كان على المذهب السني وعدو الفاطميين، وهكذا خضع المعز للخليفة العباسي القائم بأمر الله[1].

فبعث له هذا الأخير الخلع، وحرقت البنود الفاطمية، وعوضتها البنود العباسية ولعن الفاطميين لأول مرة في خطبة عيد الأضحى سنة 440هـ-1048م[2]، بحيث أمر المعز بإحراق بنود الفاطميين ومحو أسمائهم من الطرز والسكة، وغير العملة سنة 441هـ-1049م[3]، ودعا للعباسيين لذلك بعث بعث الخليفة الفاطمي المستنصر رسالة للمعز[4]، يعاتبه فيها قائلا: "هل اقتفيت أثار أبائك في الطاعة والولاء"، فلذلك اقترح الوزير الفاطمي اليازوري الذي كان يكره المعز على الخليفة المستنصر بعث بني هلال وبني سليم[5] إلى إفريقية ليتخلص منهم، ويعاقب المعز عقابا شديدا فوافقه الخليفة فاتصل اليازوري بأمراء بني هلال وبني سليم فأهدى لهم هدايا فاخرة وأعطى كل عسكري بعيرا ودينارا وقيل فروا ودينارا[6]. فقال لهم:" قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الابقى فلا تفتقرون"[7].

وهناك أسباب أخرى غير مباشرة دفعت الفاطميين إلى نقل القبائل الهلالية إلى المغرب وإفريقية تتمثل في سوء الأوضاع الاقتصادية في عهد المستنصر 427هـ-487هـ، لذلك أن مصر لم تتمتع طوال فترة خلافته بالرخاء والطمأنينة غير مدة قصيرة، فسرعان ما جرت في عهده إحداث سياسية

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 325.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 401.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 325.

[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 45.

7- **بنو هلال وبنو سليم**: أصل قبائل بنو هلال وبنو سليم من مضر، فهما قبيلتين بدويتين تجولان في صحراء الحجاز فتنزل بنو سليم المدينة وبنو هلال جبل زغوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ويغيرون على الضواحي. ألفردبل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (من الفتح العربي حتى اليوم)، تر: عبد الحليم بدري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 211. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 581.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 47.

[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، العبر، ج 6، ص 31.

واقتصادية أدت إلى تزعزع مركز الخلافة الفاطمية، وترجع الأزمة الشديدة التي عرفتها مصر في هذه الفترة إلى طمع الأمراء وتطلعهم إلى السلطة وتنافسهم الحاد على المناصب التي استغلوها في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة[1].

وقد أصبحت سلطتهم على درجة كبيرة من الضغط فعجزوا عن السيطرة على الأمور في البلاد، فتدهورت شؤون العامة وانتشرت النزاعات والفتن بين الناس، والأزمة الكبيرة التي حدثت في عهد المستنصر بالله الفاطمي في القرن الحادي عشر ميلادي كانت نتيجة لهذا النقص فبدأ الجفاف يهددهم والجوع يخيم من كل مكان، حيث أصبح الناس يأكلون الجيف والكلاب والبعير، بل وصل بهم الأمر إلى نبش القبور وأكل الأموات[2].

ومن خلال هذه الأزمات التي تعرضت لها مصر يتبين لنا أن أسباب هجرة بني هلال وبني سليم نتيجة الأزمة الاقتصادية التي عاشتها مصر في القرن الخامس، خاصة إذا علمنا أن تلك القبائل كانت تقطن الصعيد وإن موردها زراعة الأرض، فان تلك القبائل التي أصابتها المجاعة عادت إلى عادتها القديمة وهي قطع الطريق والنهب[3].

لما أجاز الفاطميون بني هلال عبور النيل غربا نحو إفريقية عبر بنو هلال وبنو سليم نحو النيل وتوجهوا نحو برقة [4]سنة 343هـ-1051م، فوجدوا بها بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل[5]، إذ كان كان المعز قد أباد معظم سكانها من زناتة[6]، وما لبث أن كتبوا لإخوانهم في مصر يرغبونهم في البلاد،

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 271. جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 191.

[2]- عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية، ج1، دار السبيل، الجزائر، 2008، ص 77

[3]- راضي دغفوس، دراسات في التاريخ الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 162.

[4]- **برقة:** مدينة عليها سور و أبواب حديد أمر ببنائه المتوكل بالله احمد، ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 132.

[5]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 180.

[6]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 158.

واستغلت الدولة الفاطمية هذه الفرصة فبعد أن كانت تدفع لكل رجل يعبر النيل إلى المغرب دينارا، صارت تأخذ منهم ضريبة مقدارها دينارين فاستعادت ما اخذ منها أضعافا[1].

توجه بنو هلال نحو افريقية ودخلوها على قول ابن خلدون:"كالجراد المنتشر"[2]،فلما سمع المعز الخبر استدعى أمير بني رياح مؤنس بن يحي المردسي وزوجه ابنته واقترح عليه تجنيد بني رياح في صفوف الجيش الزيري[3]، فقبل مؤنس واستدعى بني رياح فساروا إليه لكنهم اظهروا الفساد ونادوا بشعار الخليفة المستنصر[4]، فغضب المعز على مؤنس وألقى القبض على أخيه وقيل على أزواجه وأولاده[5]، وعندما سمع مؤنس بذلك اشتدت نكايته وعظم بلاءه وأخذ يفسد وينهب أكثر من جنوده[6].

أراد بنو هلال الوصول إلى القيروان في الحين فبين لهم مؤنس أن الأمر مستحيل فاخذ مؤنس بساطا فبسطه ثم قال لهم :" من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه، قالوا: لا نقدر على ذلك، قال: هكذا القيروان خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ، فقالوا: أنت شيخ العرب وأميرهم وأنت المقدم علينا، ولسنا نقطع أمرا دونك"[7].

جمع المعز جيشا عظيما وسار إلى قتال بني هلال وأول معركة وقعت بينه وبينهم هي معركة حيدران، فهجم الزيريون على أعداءهم يوم عيد الأضحى 443هـ-1051م[8]، وقت الصلاة وما كادت المعركة تبدأ حتى ظهرت علامات الفشل في المعسكر الصنهاجي حيث بدأ عرب الفتح

---

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 821. عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق،ص 222.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 48.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 32.

[5]- رابح بونار،المرجع السابق، ص 194.جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 222.

[6]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص 253.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق،ج8، ص 55.عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي، دار ، الجزائر، 2007،ص ص 116-117.

[8]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 49.

بالتحيز جانبا، قبل أن ينظموا إلى جانب الهلاليين للعصبية القديمة بينهم[1]، بحيث خانت زناتة وصنهاجة وفرو من ميدان القتال[2]، تاركين المعز وسط المخلصين له من عبيده، فقاتل عبيد المعز بشجاعة ولكنهم مع ذلك انهزموا وقتل منهم خلق كثير[3].

بعد هذه الهزيمة أعاد المعز بن باديس ترتيب جيوشه وسار على العرب في جيش قدره سبعة وعشرون ألف فارس للإغارة عليهم مرة أخرى لكنه هزم هزيمة نكراء[4]، بعد هذا حاصر العرب مدينة القيروان سنة 446هـ فأمر المعز بأن ينقل أهل صبرة[5]، وأخذ مؤنس بن يحي المرداسي مدينة باجة وأطاعة أهلها وأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية وأقام المعز بالقيروان وبدأ الناس ينتقلون إلى المهدية سنة 449هـ-1057م، وفيها دخلت العرب القيروان[6].

وفي شعبان 449هـ/ أكتوبر 1057م، انتقل المعز إلى المهدية بينما قام الهلاليون في رمضان 449هـ/ نوفمبر 1057م، من انتهاب مدينة القيروان وتخريبها فهرب أهلها إلى تونس وسوسة.
و بهذا يكون قد استولى الأعراب على جميع المناطق المنخفضة في بلاد المغرب ولم يحتفظ بنو زيري إلا بشريط ساحلي ضيق يمتد من سوسة إلى صفاقس.

فعمت الفوضى وسيطر الأعراب على السهول الخصبة والمراعي، وانتقل كثير من أهل القيروان إلى قلعة بني حماد لكونها جبال وعرة يمكن الامتناع بها من العرب، فغمرت بلادهم وكثرت أموالهم وصارت مدينتهم وريثة لأمجاد القيروان[7].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 18.
[2]-عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص430.الراضي دغفوس، المرجع السابق، ص 203.
[3]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 50.
[4]- ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 297.
[5]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 119.محمد طمار، المرجع السابق، ص 99.
[6]- سعد زغلول، المرجع نفسه، ص 436.
[7]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 179.

بعد هزيمة الزيريين تقوى نفوذ الحماديين فعملوا على جلب قبائل بني هلال وبني سليم إلى صفهم حيث أظهر الحماديون ولائهم للفاطميين لكي لا يصطدموا بالقبائل الهلالية[1]، وتعتبر سياسة الحماديين نحو القبائل الأعرابية حجة حسب رأي عبد الحليم عويس وأثبتت الأحداث أنها أفضل من سياسة أبناء عمومتهم بني زيري والذين يتحملون العبء الأكبر من أضرار هذه الحملة فقد نجح الحماديون في استغلال الهلاليين في حروبهم ضد الدولة الزيرية وضد زناتة[2].

عند وصول بني هلال إلى المغرب الأوسط لم يقع قتال شديد بينهم وبين الحماديين لأن بلكين بن محمد صاحب القلعة ترك لهم الأرياف وأدخلهم في صفوف جيشه، وما ساعد بن حماد في سلوك هذه السياسة هو أن وقع صراع شديد بين زناتة المغرب الأوسط وبين بني هلال، لكن مع ذلك كانت العلاقات الحمادية الهلالية معقدة في بعض الأحيان، نرى بني هلال في صفوف الجيش الحمادي أثناء غزو المغرب الأقصى الذي قاده بلكين بن محمد وهجوم الناصر بن علناس على إفريقية ثم نراهم في نفس أيام الأمير يتحالفون مع زناتة ويحاربون بني حماد[3] في معركة سبيبة سنة 457هـ-1065م[4] وذلك ما سبق ذكره في العلاقات الزيرية الحمادية.

حيث انهزم الناصر بن علناس ولجأ إلى قسنطينة وعرب رياح في أثره يطاردونه إلى أن لحق بالقلعة وتحصن بأسوارها ، فطوقوا القلعة وخربوا أطرافها ونسفوا زروعها وعاثوا فيها فساد فأفسدوها ، كما خربوا منطقتي طبنة والمسيلة فتركوا ما فيها من القرى والضياع قاعا صفصفا[5].

[1]- عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 107.
[2]- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 17.
[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 119.
[4]- سعد زغلول، المرجع السابق،ج3، ص 453.
[5]- سعد زغلول، المرجع السابق،ج3، ص 456.

وإزاء ضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس بعد أن ملكوا الضواحي وأخذوا منهم الإتاوات، اضطر الناس إلى هجر سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بيجاية وأعدها لنزله وجعلها قاعدة لملكه[1].

لقد نتج عن تخريب العرب للبلاد قيام فترة من الاضطراب السياسي والاقتصادي في افريقية والمغرب الأوسط، فقد خرب العرب العمران وأتوا على معالم الحضارة بإفريقية من زراعة وتجارة ومنشآت، فخربت صبرة والقيروان وتونس وطبنة والمسيلة وقلعة بني حماد، أما بالنسبة للسياسة تمثلت في انقسام بلاد المغرب إلى طوائف واحتفظ بنو زيري بالمهدية وانتقل بنو حماد من القلعة إلى بجاية حيث تمثل هذه الأخيرة مرحلة التحضر في تاريخ الدولة الحمادية.

- **مرحلة العظمة والمجد:**

بوصول الناصر بن علناس إلى الحكم سنة 454هـ-1062م، الذي يعتبر وصوله نقلا للسلطة إلى الفرع الثالث من أبناء حماد (علناس) وقد جاء هذا الانتقال انتقالا بالأسرة من عهد البناء السياسي إلى عهد البروز الحضاري[2].

كما أن النجاح النسبي الذي حققه الناصر في وضع أسس ثابتة للتعامل مع المرابطين والهلاليين وأخيرا في وضع أسس التعامل مع أبناء عمومته الزيريين في المهدية -بعد موقعة سبيبة- كما ذكرنا سابقا، هذا كله قد جعل الدولة منذ الناصر وإلى موت العزيز ثامن الأمراء الحماديين 454-515هـ/1062- 1121م[3]، تظهر كدولة متحضرة تفوق كل القوى الموجودة بالمغرب العربي حضاريا، وكان هذا هو الطور الثاني من أطوار الدولة الحمادية.

[1]- مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص 129.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 124.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 345.

لقد تميز هذا الطور بعدة خصائص من بينها خاصية البدء في الانتقال من البداوة إلى الحضارة[1]، فيعد تمصير بجاية وبناؤها فاتحة الدور الحضاري في عمر الدولة الحمادية[2].

تأسيس مدينة بجاية:

كان الناصر يفكر في بناء مدينة جديدة منيعة بعيدة عن القلعة التي أصبحت مهددة من قبل الأعراب الذين تمكنوا من الاستيطان في سهول الحضنة القريبة منها، لأنه فتح على دولته باب الشر والاضطراب، بتدخله في شؤون الأعراب وقتلهم وفي تلك الأثناء وفد محمد بن البعبع[3] رسولا من تميم بن المعز لتأكيد الصلح بينه وبين الناصر[4].

فلما وصل محمد بن البعبع إلى القلعة اقبل على الناصر وأشار إليه بتشييد مدينة بجاية[5]، التي رآها صالحة لان تكون عاصمة لدولته[6]، فدله على المكان وأقنعه بأنه الأصلح لبناء مدينة جديدة تكون عاصمة جديدة لملكهم، وأقنعه بحصانة موقعها وفائدته البحرية[7]، وقد أصغى إليه الناصر وأبدى اهتماما بالموضوع فسار بنفسه إلى بجاية ليطلع على الموقع، وقد أعجب الناصر بالموقع الاستراتيجي للمنطقة وأمر بأن يشرع في اختطاط المدينة وإنشاءها[8].

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 360 . محمد عابد جابري، المرجع السابق، ص 225.

[2] – موسى لقبال، ميزات بجاية و اهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الاوسط في العصور الوسطى، مجلة الاصالة ، عدد 19-20، مجلة 7، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، تلمسان، 2011، ص 5.

[3] – مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 128.ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 48.

[4] – الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص 298.

[5] – موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف ق 5 إلى 11م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص 145

[6] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 67.

[7] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج3، ص 458.

[8] –موسى لقبال، مميزات بجاية وأهمية دورها، المرجع السابق،ص5.

وفي سنة 460هـ-1067/1066م[1]، بنا الناصر المدينة التي أطلق عليها اسمه " الناصرية" كما ذكر ابن خلدون أن الناصر افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسماها الناصرية وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية، وبنا فيها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل إليها الناس واسقط الخراج عن ساكنيها وانتقل إليها سنة إحدى وستين وأربعمائة للهجرة[2].

وعلى قول ابن خلدون اتضح لنا أن صاحب الدولة الناصر اعتمد على سياسة البذل والعطاء لكسب الأنصار والمؤيدين هنا وهناك من أهل عصبيته أو العصبيات الأخرى، هذا ما ساعد على إعمار المدينة بسرعة.

- **أسباب اختيار بجاية:**

يرجع التفكير في بناء بجاية لدى الناصر إلى عدة أسباب اختلف حولها المؤرخون، لكن الطابع العام لها هي أنها أسباب ترجع إلى ظروف طارئة وليست أسباب خاضعة لتخطيط مسبق حسب رأي عبد الحليم عويس[3].

يرى أصحاب الرأي الأول في تعليل بناء بجاية أن النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة التي هزم فيها الناصر أمام أبناء عمومته الزيريين، ونتيجة خيانة القبائل العربية له، كانت هي السبب في تفكيره لبناء بجاية ويذهب إلى هذا الرأي ابن خلدون[4] والنويري[5] وصاحب كتاب الاستبصار[6].

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 68.

[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 232.

[3]- عبد الحليم عوس، المرجع السابق، ص 99.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 232.

[5]- النويري، المصدر السابق، ج 24، مج 2، ص ص 22-27.

[6]- مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص ص 128-129.

يضيف ابن الأثير إلى هذا السبب رأيه في أن بناء بجاية مرتبط بقصة الصلح بين الناصر الحمادي وتميم بن المعز بعد موقعة سبيبة، وبقصة خيانة ابن البعبع- أحد رجال تميم- له الذي أرسله إلى ابن عمه الناصر بن علناس ومعه شروط الصلح، لكن ابن البعبع خان تميما وانضم إلى الناصر ووعده بالمساعدة في امتلاك بلاد تميم، واظهر له مواطن ضعفها[1]، واقترح عليه بناء بجاية كما ذكرنا سابقا لتكون قريبة من إفريقية الزيرية.

ورأى أصحاب الرأي الثالث أن الناصر بن علناس الذي تولى الأمر بعد قتله للأمير السابق له بلكين بن حماد قد كره مجاورة بني حماد الذين يميلون إلى بلكين في القلعة[2]، وثمة أراء أخرى يرى بعضها أن بناء بجاية يرجع إلى الصدفة إذ أن الناصر كان يمر في طريقه إلى القلعة فأعجبته ضيعة صغيرة لصنهاجة تدعى بجاية.

وفي تصورنا أن الرأي الأول الذي يرجع الأمر إلى خراب القلعة كنتيجة لموقعة سبيبة، كان هو الباعث على التفكير في بناء عاصمة جديدة وهذا يعني أن ميلاد بجاية كحاضرة وكقاعدة أساسية يعني بداية تضاؤل أهمية القلعة في المجال السياسي، هذا ما جعل بجاية تستفاد من التطورات الجديدة التي جعلت منها مركزا رئيسيا لسياسة والنشاط المتعدد الجوانب فتصدرت الأحداث، بينما انحصر نفوذ القلعة فتخلت إلى الأبد عن دورها السياسي.

كما يمكن أن تكون قصة ابن البعبع قد حدثت، ونحن نرجح صحة حدوثها ويمكن أن يكون الناصر قد شارك ابن البعبع الرأي وتفقد المكان بنفسه ومن الواضح أن اختيار الناصر لبناء بجاية في هذا المكان لم يكن إلا نتيجة لما تتمتع به من موقع ومناخ استحواذا على إعجابه، فتبدوا في ميزة

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 102.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 100.

الاتصال بمراكز الثقافة والاقتصاد والحضارة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وهي الميزة التي لم تتوفر للدولة من قبل عندما كانت القلعة عاصمة وحيدة لها.

وفي سنة 461هـ-1068م، انتقل الناصر إليها[1]، وبدأ يقوم بعملية تحضير شاملة لها فجدد قصورها وشيد جامعها وأنشأ بها دار للصناعة والأساطيل والمراكب وإنشاء السفن التجارية والحربية[2]، كما قام ببناء مجموعة من القصور كان أشهرها قصر اللؤلؤة الذي كان من أعجب قصور الدنيا[3].

وفي عهد الخليفة المنصور بن الناصر كان مولعا بالبناء فاستمر في عملية تحضير المدينة[4] ونقل إليها كثيرا مما كان بالقلعة فتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، وبنا في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وغيرها[5].

أما في عهد العزيز ذكر ابن الخطيب انه استوطن بجاية ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب[6] وفي سنة 538هـ اقتلع يحي الحمادي من القلعة كل ما كان بها من أدوات الزخرفة ونقلها إلى بجاية فزينها بها[7]، ويعتبر عهد يحي 515هـ-547هـ[8]، قمة ما وصلت إليه بجاية من تطور حضاري وإن كان هذا التطور قد حمل في طياته بذور فناء الدولة، فقد مثل يحي الحمادي فترة انهيار الدولة

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 103.
[2]- موسى لقبال، ميزات بجاية و أهمية دورها، المرجع السابق، ص 6.
[3]- مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.
[4]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 67.
[5]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ، ص 598.
[6]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 377.
[7]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص 92.
[8]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص

وقبولها للأفول وبعهده دخلت الدولة في طورها الأخير وهو طور الهرم والاضمحلال الذي سنتطرق إليه لاحقا.

- **مرحلة الهرم والاضمحلال:**

عندما تولى يحي أمور الدولة الحمادية 315-547هـ/1121-1152م، كان الجو المغربي والإسلامي مضطربا[1]، كان المرابطون الذين حموا الأندلس وظلوا قوة مرهوبة في المغرب طيلة عهد يوسف بن تاشفين[2]، قد بدأوا يدخلون طور الانحدار سواء في الأندلس أو في المغرب، وكان محمد بن بن تومرت [3]الذي أصبح يلقب بالمهدي قد نجح بعد ذهابه إلى المغرب الأقصى أن يجمع حوله جمعا كثيرا من المصامدة وغيرهم، وبدأ يدخل طور الالتحام، بالمرابطين ومحاولة السيطرة على المغرب، وقد جهز جيشا عظيما في سنة 517هـ- 1123م، وجهه في حرب المرابطين[4]، وكان الزيريون في عاصمتهم المهدية بقيادة الحسن الذي تولى بعد أبيه علي بن يحي سنة 515هـ- 1021م[5] يتعرضون يتعرضون لغزو النورمان الزاحفين من صقيلة التي كانت قد ضاعت من يد المسلمين، فاستنجدوا

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 153.

[2]-**يوسف بن تاشفين:** هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن منصور بن مصالة بن مانية الصنهاجي الحميري، كنيته أبو يعقوب كانت خلافته من أول ولايته بالمغرب باستخلافه ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر اياه.ينظر: ابن السماك العاملي المالقي الغرناطي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2010، ص ص 70-72.

[3]- **محمد بن تومرت: هو** محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان عبد الله لقب بالمهدي، ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990،ص ص 87-88.و قد اختلف المؤرخون في نسب المهدي و من اجل التحقيق من ذلك، ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 217. مجهول، مفاخر البربر،ص 207.ابن السماك، المصدر السابق،ص 170.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع نفسه، ص 153.

[5]- ابن خلدون، العبر، المرجع السابق، ج6، ص 214.

بالمرابطين الذين استجابوا لهم سنة 516هـ- 1122م، لكن بظهور مشاكلهم –المرابطين- الخاصة مع الموحدين انصرفوا إلى أنفسهم واضطروا إلى عقد هدنه مع النورمان[1].

وفي ظل هذه الظروف كان يحي كما ذكر ابن خلدون مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الأيام بصنهاجة[2]، كما يؤكد ابن خلدون عروره حين يذكر أنه استحدث السكة لم يحدثها أحد من قومه أدبا مع خلفاءهم العبيديين[3].

فكان يحي منغمسا في ملذات يومه دون اهتمام بما يحيط به، ويتضح ذلك في عدم مَدْ يَدْ العون لأبناء عمومتهم الزيريين في محنتهم الثانية التي واجهوا فيها النورمان، بعد محنتهم الأولى مع القبائل العربية، بل محاولته الدخول معهم في صدام، مستغلا ظروفهم الكئيبة دون أدنى تبصُّر بالعواقب الوخيمة لتصرفاته[4].

كانت العلاقة بين الحماديين والنورمان في المرحلة في المرحلة الأولى حسنة، ولم يتغير عليهم النورمان إلا بعد ان رأوهم ملكوا جربة وطمعوا في المهدية، أي أن الخلاف الذي وقع بين الحماديين والنورمان في الفترة الأخيرة من حياة الدولة ومن حكم يحي كان مجرد صراع على ميراث الدولة الزيرية وهذا بالطبع موقف مؤلم لبني زيري.

ففي سنة 529هـ-1134م سير يحي عسكرا بقيادة مطرف بن علي بن حمدون لحصار المهدية[5] وصاحبها الحسن بن علي بن تميم، وتختلف الآراء حول أسباب تلك الغزوة فيرى ابن الأثير أن الحقد التاريخي الكامن في نفس يحي ونفوس أبائه كان أحد الأسباب التي دفعته إلى غزو المهدية[6].
المهدية[6].

[1]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 591.
[2]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 362.
[3]- المصدر نفسه، ص 363، رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 99.
[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 157.
[5]- المرجع نفسه، ص 158.
[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 31.

وتتجه بعض الآراء اتجاها آخر فيرى ابن أبي دينار أن يحي قصد أخذ المهدية لأنه سمع أن الأمير حسن صالح روجار الرومي صاحب صقلية مخافة شر[1]، كما يؤيده في هذا الاتجاه محمد الجيلالي الذي يذهب إلى أن استيلاء النورمان على أطراف المملكة التونسية أحدث تذمرا لدى سكان تلك النواحي، ومنهم الأعراب المهاجرون، فاجتمع لذلك وفد من هؤلاء وجاء إلى الأمير يحي بن العزيز يشكوا إليه حالة البلاد مع النورمان وسوء سلوك الأمير الحسن بن علي الصنهاجي فصادف ذلك في نفس يحي[2]، فاستجاب للوفد وأمر بتعبئة الجيش فأمر عليه كبير قادته مطرف بن علي بن حمدون وأوصافهم بالتعفف عن الدماء.

وعلى أية حال فلم تؤت هذه الحملة ثمارها على الرغم من أن قائدها " مطرف" قد بذل كل جهده في الاستيلاء على المدينة بناءا على أمر يحي لكنه يئس من استسلام المدينة فبعد أيام من الانتظار نزل "مطرف" بظاهر زويلة[3] إحدى ضواحي القيروان وباشر القتال فظهر أهل المدينة عليه وعلى جنده، وقتل من جنده جمع غفير، فأمر مطرف بالزحف شمالا برا وبحرا على المدينة، حتى اقترب من الأسطول.

فأمر الحسن بفتح الأبواب وأشرك أسطوله في المعركة وخرج الحسن يقود الناس من باب المدينة ووصلت نجدة بحرية من " رجار" الفرنجي صاحب صقلية في عشرين قطعة[4]، فحاصر مراكب مطرف وأراد النورمان إغراقها لكن الحسن منعهم من ذلك، وأمر بالكف عن قتال أبناء عمومه[5].

---

[1]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 92.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1،ص 373.

[3]- **زويلة**: السودان، مقابل إجدابية بين بلاد السودان وإفريقية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص 600.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 162.

[5]- ابن ابي دينار، المصدر السابق،ص 90.

كما وصل ميمون بن زياد –حليف الحسن من العرب– في جمع كثير لنصرته واستولى الحسن على غرابين[1] من أسطول بجاية، وعندما رأى مطرف كل ذلك فر عائدا خائبا إلى بلده[2].

من أبرز نتائج هذه المعركة أنها أقفلت باب التفاهم والود أبديا بين فرعي زيري ووقف كل منهما للأخر بالمرصاد في أحلك ظروف كانا يحتاجان فيها إلى التعاون، كما فتحت على الحماديين باب الصراع مع النورمان وقضت على فترة السلام بينهما.

بعدما اطمأن النورمان على اختلاف الزيريين مع الحماديين تقدموا يغيرون على شواطئ المغربين الأوسط والأدنى دون خشية حتى استولوا على الساحل المغربي كله، الممتد عبر ليبيا وتونس والجزائر حتى بونة في الساحل الشرقي الجزائري، فكانت هي أكبر حجة شرعية كي يتقدموا للسيطرة على المغرب العربي ففي سنة 547هـ-1152م[3]، كان الموحدون يتقدمون إلى بجاية ليلعبوا معها الدور الذي فرضته الظروف القيام بها.

فشق عبد المؤمن بن علي[4] الموحدي طريقه من سبتة إلى بجاية في صفر سنة 547هـ دون أن يعرف الذين معه خط سيره ومقصده الحقيقي وأسرع في السير نحو بجاية التي عرفت الضعف والفساد والانحطاط هذا ما أدى إلى سقوط الدولة الحمادية فلنذكر إذن شيئا من التفصيل حول الأسباب والعوامل التي أدت إلى سقوطها.

---

[1]– **غرابين**: الغراب اسم نوع من السفن المعروفة لاسيما لدى المغاربة، لان مقدمتها على شكل راس الغراب. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 163.

[2]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 214.

[3]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 599.

[4]– **عبد المؤمن بن علي**: هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبو موسى بن عبد الله بن يحي كنيتة أبو محمد ولقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين. ابن السماك، المصدر السابق، ص 142.

- **عوامل سقوط الدولة الحمادية:**

في سنة 539هـ كانت الحرب على تلمسان بين تاشفين أمير المرابطين وعبد المؤمن بن علي أمير الموحدين واستنجد تاشفين يحي بن عبد العزيز فأمده بجيش يقوده ميمون بن حمدون[1]، فانهزم هذا الجيش الذي بعثه يحي بن العزيز لمساعدة المرابطين، وفر ميمون إلى متيجة فبعث منها إلى عبد المؤمن بالطاعة ووعده الإعانة على فتح المشرق وأن يكون قائده[2].

تم للموحدين الاستيلاء على ممالك المرابطين فجاوروا يحي بن العزيز وهم في دورهم الأول في حين أن الحماديين انغمسوا في حياة الترف، فكان يحي منشغلا باللهو تاركا أمور المملكة بيد وزيره ميمون بن حمدون[3].

ولما كان هذا الوزير غادرا بدولته مواليا لعبد المؤمن، أغفل الممالك الغربية المجاورة للموحدين وصرف عساكره إلى الناحية الشرقية حيث ممالك بني باديس الذين اشتد ضعفهم فانتصر هنالك عدة انتصارات زادت يحي بن العزيز غرورا، وإنما صدق ابن حمدون في خدمة عبد المؤمن فضرب دولتي صنهاجة إحداهما بالأخرى توطئة لاستيلاء عبد المؤمن عليها[4].

خشي ميمون بن حمدون من ضياع نفوذه وسمعته وقد راعه أيضا ما رأى من تهالك النورمان واحتكاكهم على المغرب الإسلامي، فبادر إلى مكاتبة خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي في شأن التملك على الجزائر[5]، ففرح الخليفة وبدت له بذلك فرصة طالما هف إليها قلبه، فخرج من مراكش

---

[1]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق،ج2، ص 267.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 102.

[3]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 599.

[4]- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص 268.

[5]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 386.

متجها نحو سبتة سنة 546هـ-1151م، موهما أنه يريد الأندلس وأوقف حركات القوافل وجعل أمناء الطرق إلا يسلكها أحد وغرضه كف الأخبار عن يحي العزيز حتى لا يستعد له[1].

وتحرك من سبتة مرة ثانية في صفر سنة 547هـ متظاهرا بالعودة إلى مراكش، فمر بالقصر الكبير ثم عاد إلى سلا، ومن سلا تحرك إلى مكناس ومن مكناس إلى فاس، ومن فاس إلى تلمسان[2] حيث أقام بها يوما واحدا ثم خرج منها إلى "سيوسيرات" المعروفة بفحص سيق، وهي يومئذ حدود الجزائر الغربية[3].

اقتحم عبد المؤمن الجدود الجزائرية بدون عناء حتى بلغ المدية واحتل الجزائر وفر عاملها القائد بن العزيز إلى أخيه يحي فاخبره خبر عبد المؤمن[4]، ولم يفت هذا الأخير أن يجعل على الطريق أمناء يمنعون السابلة من السير حتى لا يعلم أحد بقصده ومنع جنود جيشه من السؤال عن وجهته وتوعد من سئل إلى أين السفر بأن جزاءه السيف[5].

عندما وصل القائم بن العزيز إلى أخيه يحي في بجاية أخذا معا في الاستعداد لمقاومة غزاة الموحدين، وما بدا الملك الحمادي يستعد للمقاومة حتى فاجئه عبد المؤمن بجيوشه على أبواب بجاية تاركا مدينة الجزائر تحت إمرة الحسن بن علي آخر ملوك صنهاجة، بالمهدية ، وذلك ما خشيه ملك بجاية من قبل، فحاصر عبد المؤمن بجاية وضيق عليها أشد التضييق، وقد اخرج يحي أخاه سبقا، وقائده ميمون بن حمدون المتعاون مع الموحدين، للقاء عبد المؤمن، لكن ما إن التقى الجيش

[1]- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2008،ص 90.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 194.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص 386.

[4]- محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص268.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 195.

بالموحدين، حتى انهزم ميمون من غير قتال وفتح لهم أبو عبد الله بن ميمون أبواب مدينة بجاية فدخلوها في ذي القعدة 574هـ فيفري 1152م.

تفرقت جيوش يحي برا وبحرا وركب هو البحر منهزما إلى بونة، فنزل عليها عاملها أخيه الحارث بن العزيز، واستمر عبد المؤمن بن علي في سيره زاحفا، فاحتل القلعة في وقعة عظيمة ضد الأعراب قتل فيها نحو 18 ألف نسمة من أهلها، وقتل بها عاملها جوشن بن العزيز اخو الأمير يحي، ثم حاصر قسنطينة حتى اضطر يحي إلى التفاوض على الاستسلام فأرسل أخاه الحسن وبعض شيوخ صنهاجة وقسنطينة إلى عبد المؤمن يعلنون خضوعه وإذعانه للتسليم ويطلبون الأمان وقد سارع عبد المؤمن بإجابتهم إلى ما طلبوا.

فر اخو يحي الحارث الذي يحكم بونة وعبد الله أمام الزحف الموحدي إلى صقلية في محاولة الاستنجاد بالنورمان، وقد أنجدهما النورمان بأسطول قادة "فيليب المهدوي"، فحاصر بونة وأعانه العرب على فتحها، وبقي الحارث ببونة حتى استولى عليها الموحدون سنة 551هـ-1156م، فقتلوه[1]، وتمكن الموحدون من القبض على الأمير يحي بن العزيز آخر الأمراء الحماديين 552هـ[2] بمدينة قسنطينة وحملوه إلى مراكش حيث عومل معاملة حسنة وتوفي في مدينة سلا سنة 557هـ.

ومن هنا يعتبر الاستيلاء على بونة من الناحية العملية بمثابة تحقيق الاستيلاء الموحدي التام على كل ما ضمته الجزائر الحمادية من البلاد، كما أن استسلام يحي في قسنطينة يعتبر من الناحية

[1]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج1، عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 198. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 199.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق،ج1، ص 123.رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 114.

السياسية إعلانا لسقوط الدولة الحمادية وإبعادها على مسرح الأحداث[1] وبذلك انتهت دولة بني حماد بالجزائر بعدما أعمرت 142 سنة[2].

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 199.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 389.

خاتمة

اعتمدنا في بحثنا هذا على نظرية ابن خلدون التي تدور حول العصبية، إذ يرى أن قوة الدولة واتساع نطاقها وطول أمرها راجع إلى العصبية وغلبتها حيث يرى أنها قوة من قوى الطبيعة التي لها حياة وأطوار، فاستمد عناصر نظريته من الاستقراءات والملاحظات التي اكتشفها من خلال الأحداث التاريخية لبلاد المغرب الإسلامي

فخصصنا بحثنا هذا للمغرب الأوسط الذي يعد كغيره من مناطق العالم الإسلامي التي شهدت على مدى العصور الوسطى تأسيس دول كثيرة ساهمت في بلورة الإنجازات السياسية والحضارية للأمة الإسلامية، إلا أنها عجزة عن الوصول طويلا بسبب الطبيعة القبلية وروح العصبية التي لم تتمكن من التخلص منها.

ودولة بني حماد هي إحدى هذه الدول التي شهدت هذا الدور الحضاري، بل إنها تعتبر محطة بارزة في تاريخ المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا فحاولنا من خلال دراستنا لنظرية ابن خلدون تسليط الضوء على مدى أثر العصبية على الدولة الحمادية التي تعد فرع من فروع صنهاجة بالمغرب الأوسط، إلا أننا لا نستطيع الحديث عنها -الدولة الحمادية- دون أن نعرج عن الدولة الأم – الزيرية – وكيف قامت بفضل أقوى قبائل البربر – صنهاجة.

فقد ظهرت صنهاجة على مسرح الأحداث ببلاد المغرب، خاصة بعدما اتخذت شكل الجماعة المنظمة تحت قيادة زيري بن مناد، وذلك ببناء مدينة آشير، فاستطاعت –صنهاجة- بفضل تنظيمها المحكم وذيوع صيت انتصاراتها أن تلفت أنظار الفاطميين، ومنذئذ صارت صنهاجة ركيزة أساسية في المخططات العسكرية للخلافة الفاطمية.

كان لانتقال الخلافة الفاطمية من المهدية إلى القاهرة سنة 362هـ واستخلاف آل زيري على المغرب، أثره الكبير في تطور الأحداث السياسية بالمغرب الذي وصل إليه بسبب زيري بن مناد الصنهاجي، أَثَارَ في المغرب كله يثيران العداوة والتنافس العنيف بين الصنهاجيين والزناتيين، وهكذا أوقد الفاطميون نيران العصبيات القبلية في المغرب إلى درجة جعلت هذه القبائل تدخل بعضها مع

بعض في حروب إبادة، مما عجل بزوال ملك بن زيري خاصة بعدما خرج رابع حكامها المعز بن باديس على طاعة الفاطميين، والاعتراف بخلافة العباسيين.

لقد كان رد فعل الدولة الفاطمية بعد الإعلان عن القطيعة أن أرسلت قبائل بني هلال انتقاما من البربريين وكانت هذه فكرة اليازوري وبدخول الهلاليين وقع الانفصال الفعلي وتفككت العلاقة التي جمعت الصنهاجيين والفاطميين.

وفي ظل هذه الظروف ظهرت أقوى الشخصيات السياسية والعسكرية على مسرح الأحداث "حماد بن بلكين" الذي استطاع أن يفرض نفسه على الدولة الزيرية في القضاء على مشاكلهم الداخلية والخارجية غير أن الانشقاق الداخلي للأسرة الحاكمة أسهم في تشتيت وإضعاف الدولة الزيرية، حيث انقسمت الدولة الصنهاجية إلى قسمين زيري في القيروان الحمادية في القلعة بالمغرب الأوسط، وذلك في أعقاب الحرب التي بين باديس بن المنصور وعمه حماد بن بلكين، وترسم الانقسام في عهد المعز بن باديس بعد إعلان الصلح بين الرجلين، فقد أقر المعز عم أبيه حماد بما تحته من أراضي مقابل أن تضع الحرب أوزارها.

وهكذا تمكن حماد من تأسيس دولة صنهاجية بربرية مستقلة في المغرب الأوسط تعرف بدولة بني حماد، وذلك بفضل مجهودات أمرائها الذين استطاعوا أن يعقدوا الصلح مع بني عموميتهم في إفريقية، كما أنهم تمكنوا من إخضاع القبائل الثائرة مثل: الزناتيين باستمالتهم بطرق سلمية واتباع سياسة المصاهرة، حيث تزوج المنصور بن ناصر وابنه العزيز من بنات ماخوخ.

أما عن هجرة بني هلال إلى المغرب الأوسط فقد نجح أمراء بني حماد في التعايش معهم وذلك عن طريق التحالف معهم وإقطاعهم أراضي الأرياف ليستقروا فيها، وقد نجح الحماديون في استغلال الهلاليين في حروبهم ضد الدولة الزيرية ضد زناتة.

وبفضل هذه الحنكة السياسية استطاع بنو حماد تشييد الحواضر: كالقلعة وبجاية التي ستعرف ازدهارا في جميع الميلادين في عهد الناصر والمنصور والعزيز، وبهذا تكون الدولة قد انتقلت إلى طور الحضارة.

أما في عهد يحي بن العزيز بدأت الدولة الحمادية تدخل طور الانحدار وذلك راجع لسوء سياسته التي أقفلت باب التفاهم والود أبديا بينه وبين الزيريين، وهذا ما فتح عليه باب الصراع من النورمان إلى ظهور الموحدين واستيلائهم على المغرب كله.

وهكذا فقدت الدولة الحمادية حلاوة العز والعصبية التي قامت عليها ومن هنا نستنتج أن العصبية لها أثر مزدوج على الدولة حيث يتضح لنا دورها الايجابي في قيام الدولة وتثبيت أركانها، غير أن العصبية ينتهي دورها الإيجابي عند تعيين الحاكم بعد إسقاط الدولة السابقة، كما حدث في – الدولة الحمادية – موضوع البحث، وعندئذ يبدأ دورها السلبي الذي يأبى كل تطور لا يخدم مصالح العصبية والأنانية القبلية، لذا لا يمكننا إخفاء مساوئ العصبية لنها تقف حجرة عثرة أمام تطور الدولة، فيضح لنا أن الازدهار الحضاري يتم غالبا في الحالات التي تغيب فيها العصبية وتفسد.

رغم كتابات المتقدمين والمتأخرين وآرائهم في هذا الموضوع إلا أن المجال مفتوحا أمام البحث لخصوصية متعلقة بالعصبية في كل زمان وكان ألا وهي اتصافها بالتجدد والديناميكية.

ملاحق

الملحق رقم (01): المناطق التي شملتها أحداث ثورة أبي يزيد[1]

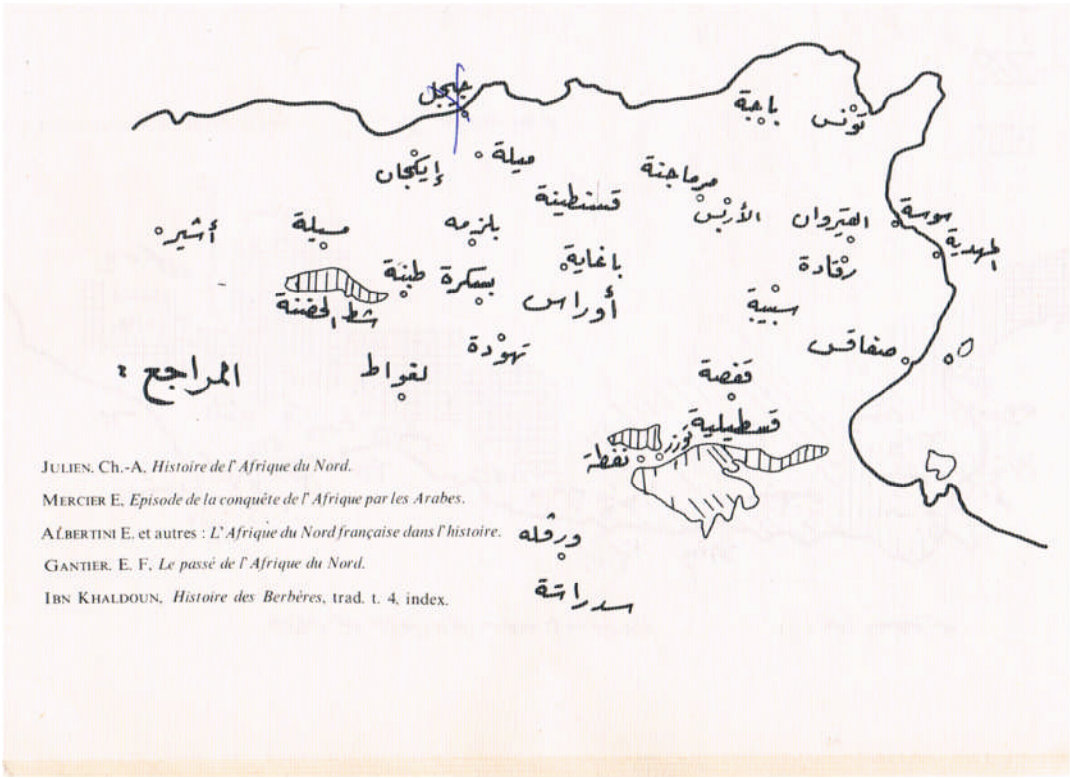

JULIEN. Ch.-A. *Histoire de l' Afrique du Nord.*

MERCIER E. *Episode de la conquête de l' Afrique par les Arabes.*

ALBERTINI E. et autres : *L' Afrique du Nord française dans l'histoire.*

GANTIER. E. F. *Le passé de l' Afrique du Nord.*

IBN KHALDOUN. *Histoire des Berbères*, trad. t. 4, index.

[1] – محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 317.

الملحق رقم (02): بلاد المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي[1]

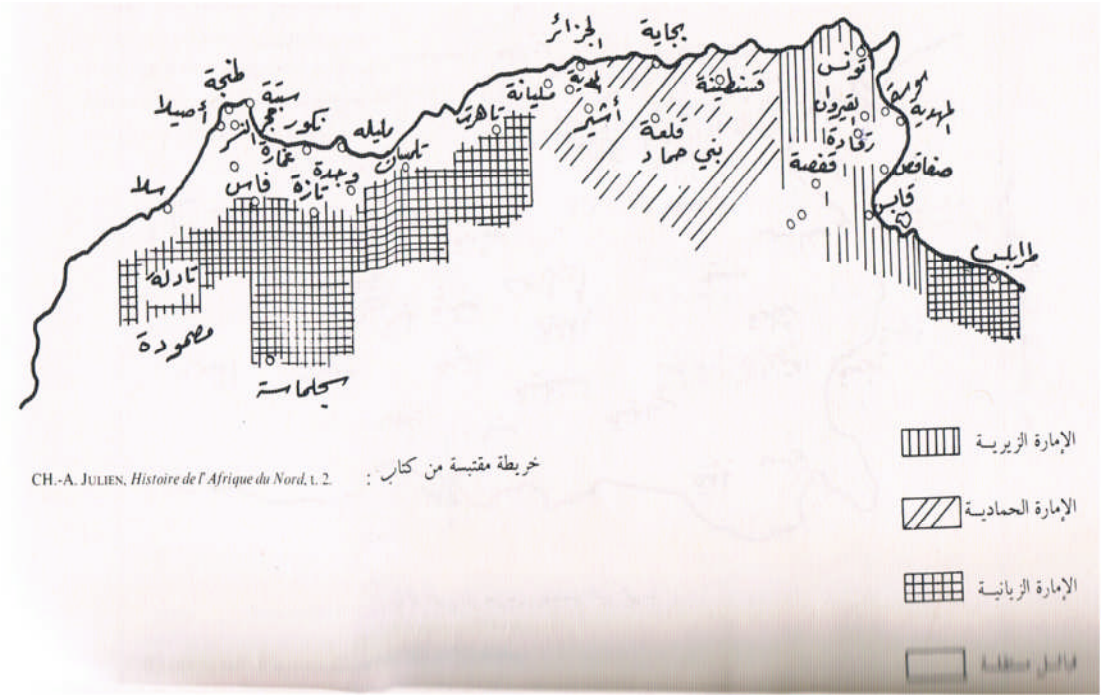

خريطة مقتبسة من كتاب : CH.-A. JULIEN, *Histoire de l'Afrique du Nord*, t. 2.

[1] – محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص

شجرة نسب بني حماد[1] **الملحق رقم (03)**:

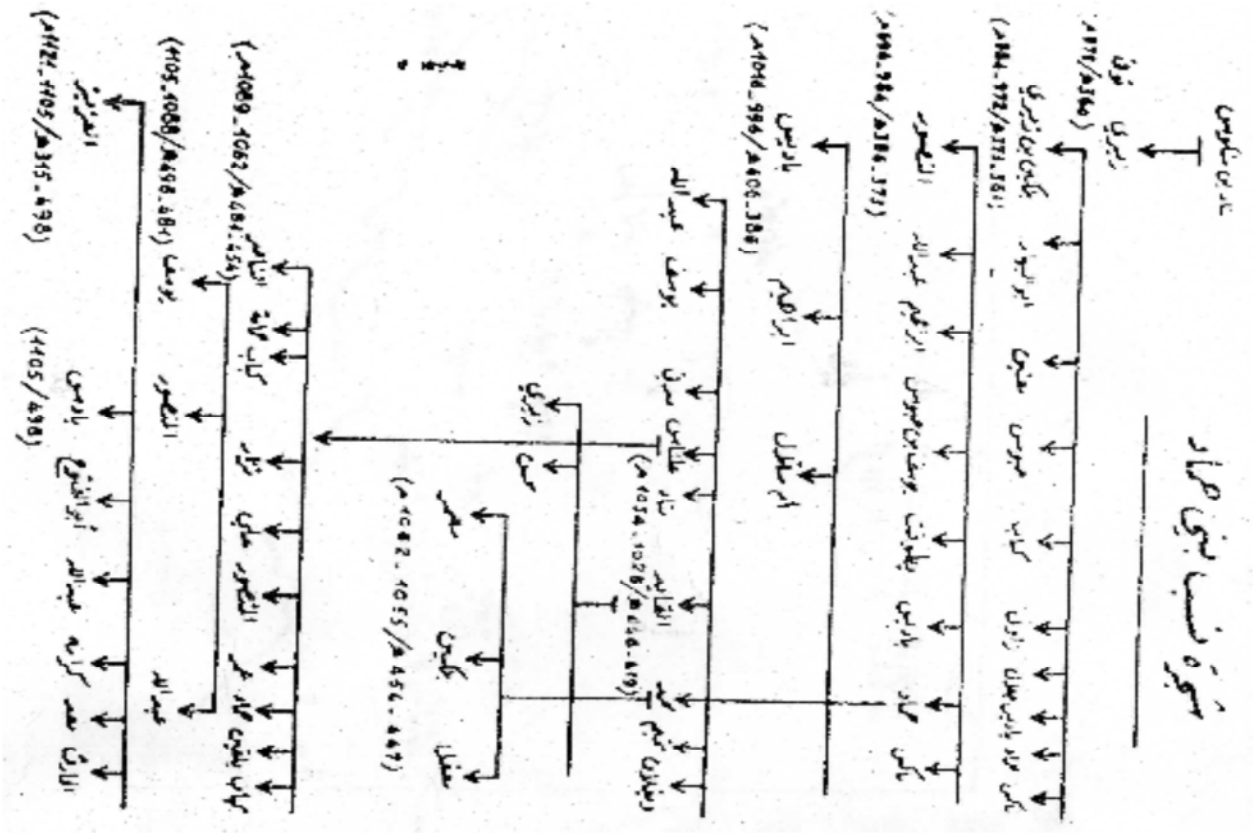

[1] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، 38.

الملحق رقم (04): رسم تخطيطي للقلعة[1]

[1] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، ص49.

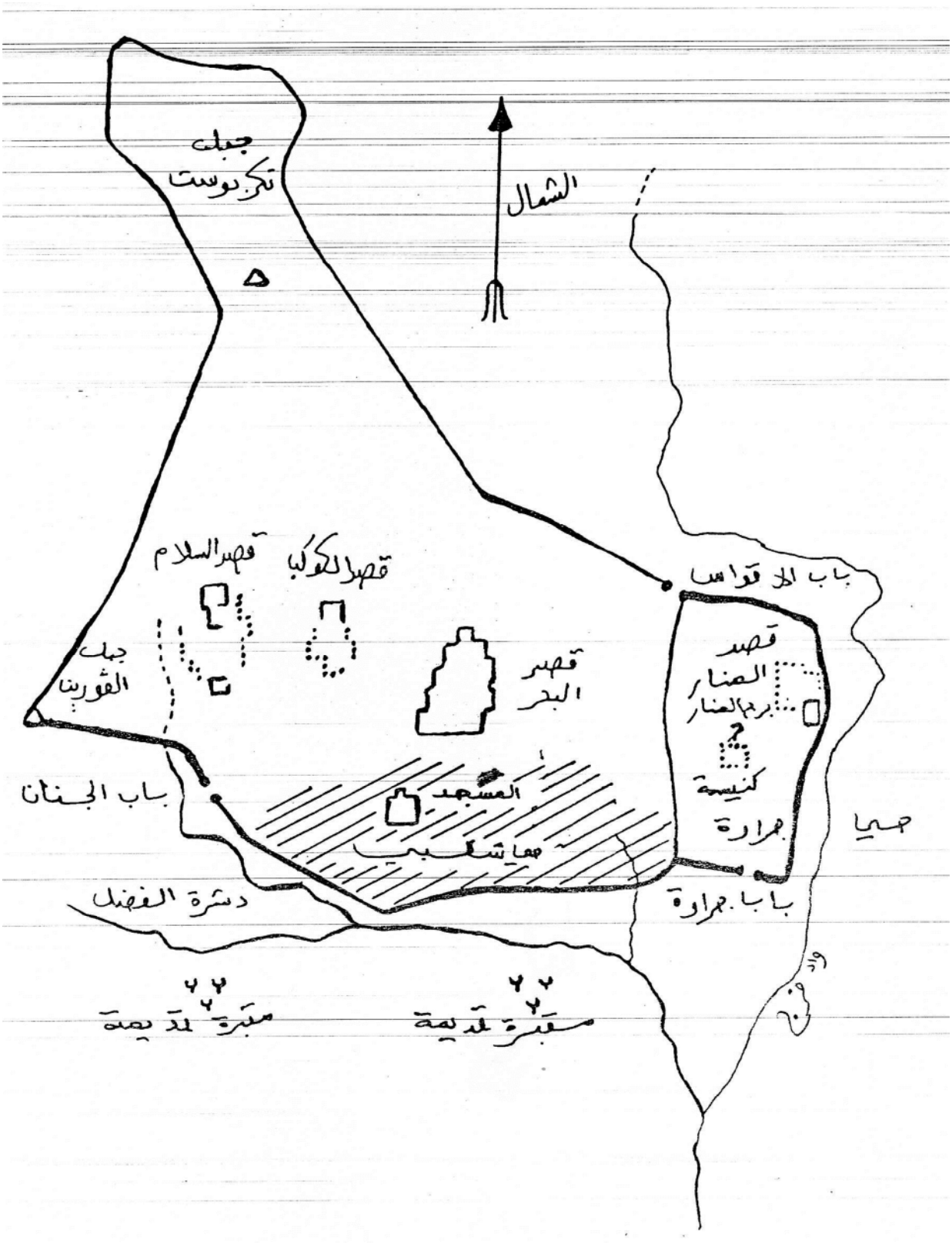

الملحق رقم (05): حدود الدولة الحمادية[1]

[1] -عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص38.

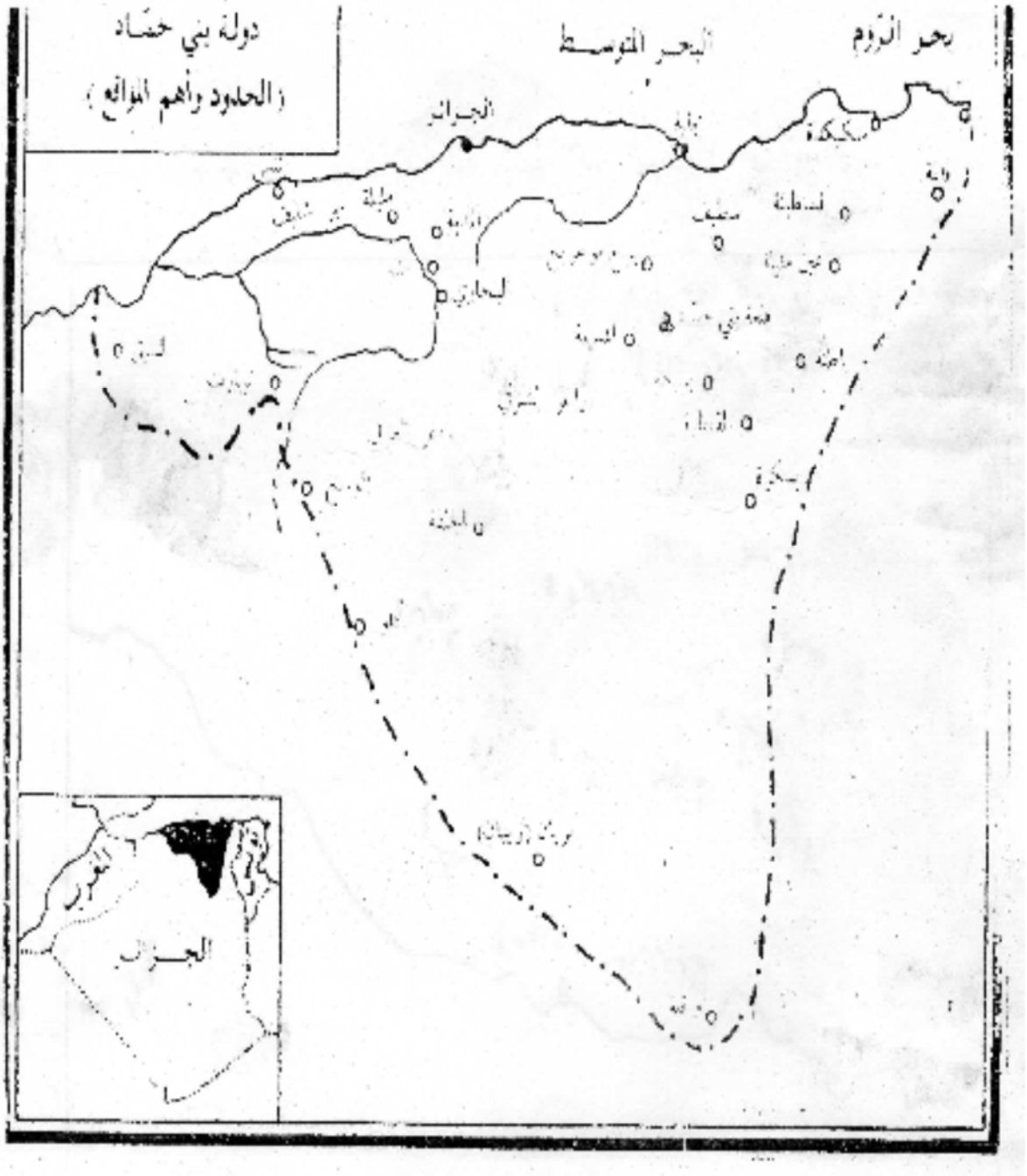
دولة بني حمّاد
(الحدود وأهم المواقع)
البحر المتوسط
بحر الروم
الجزائر
الجزائر

الملحق رقم (06): موقع مدينة أشير[1]

[1] – سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 296.

الملحق رقم (07): المغرب في عهد بلكين بن زيري[1]

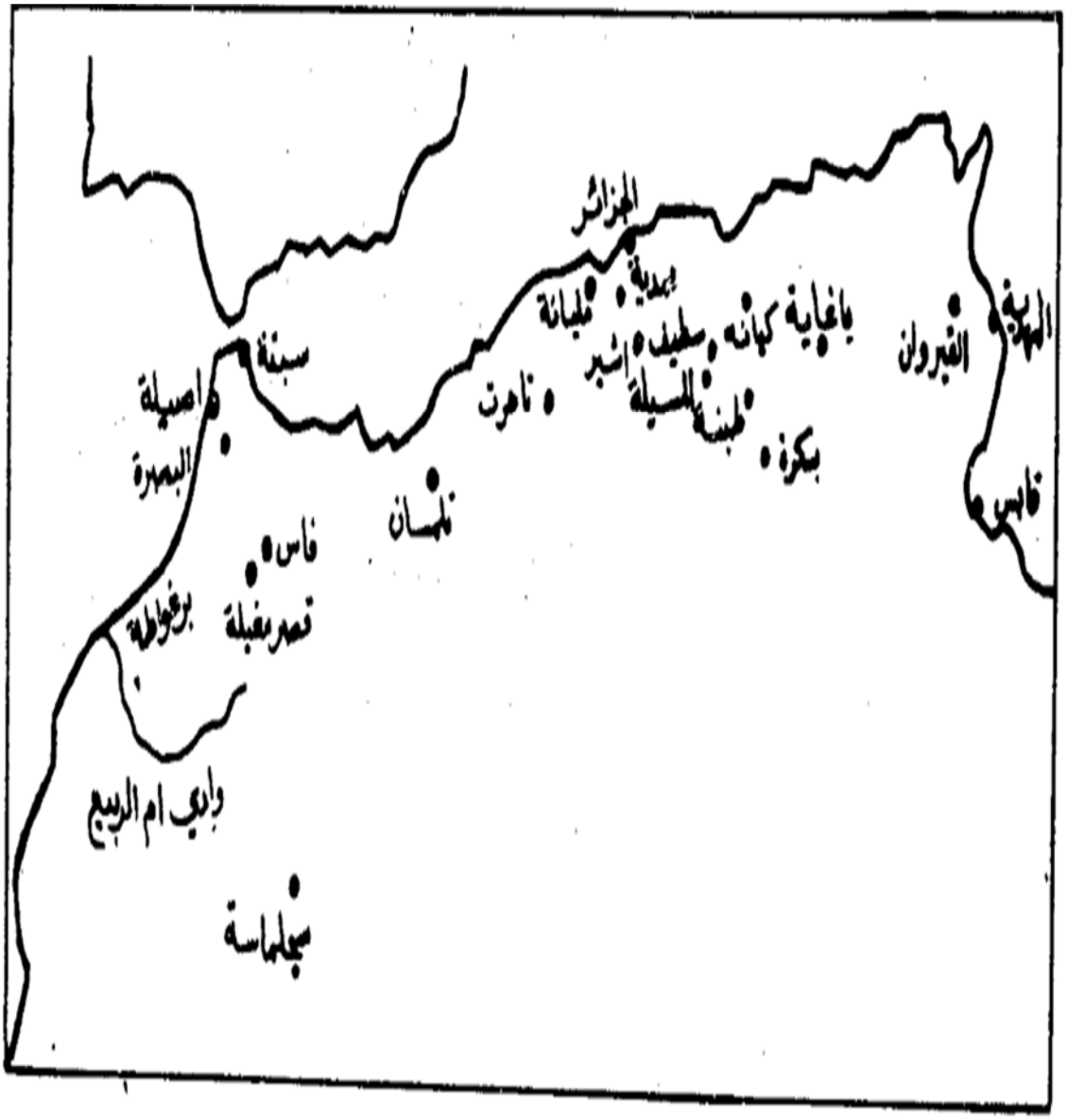

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 17.

الملحق رقم (08): الحرب بين باديس و حماد[1]

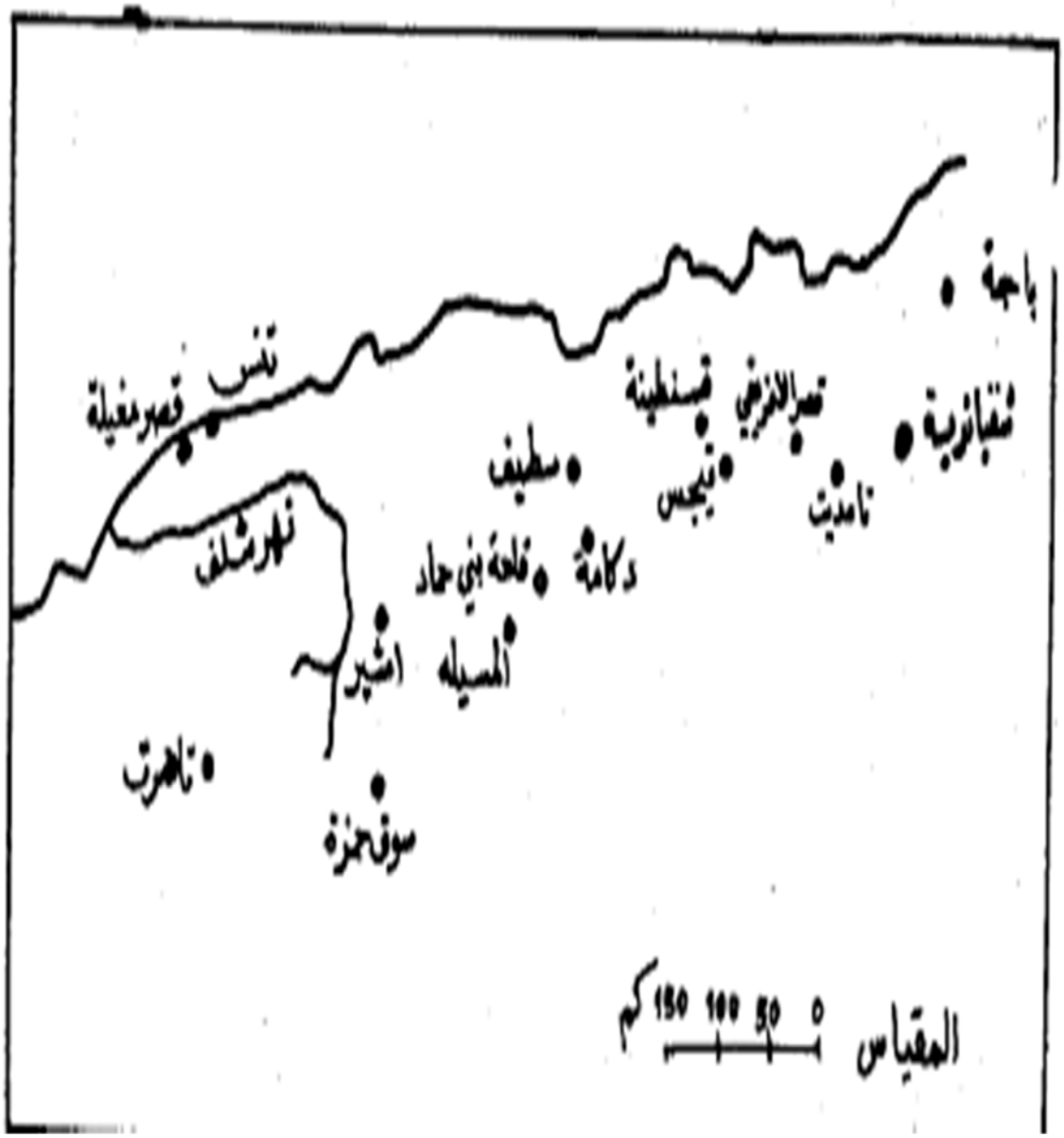

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 29.

الملحق رقم (09): المدن و المناطق التي عقدها المعز على حماد[1].

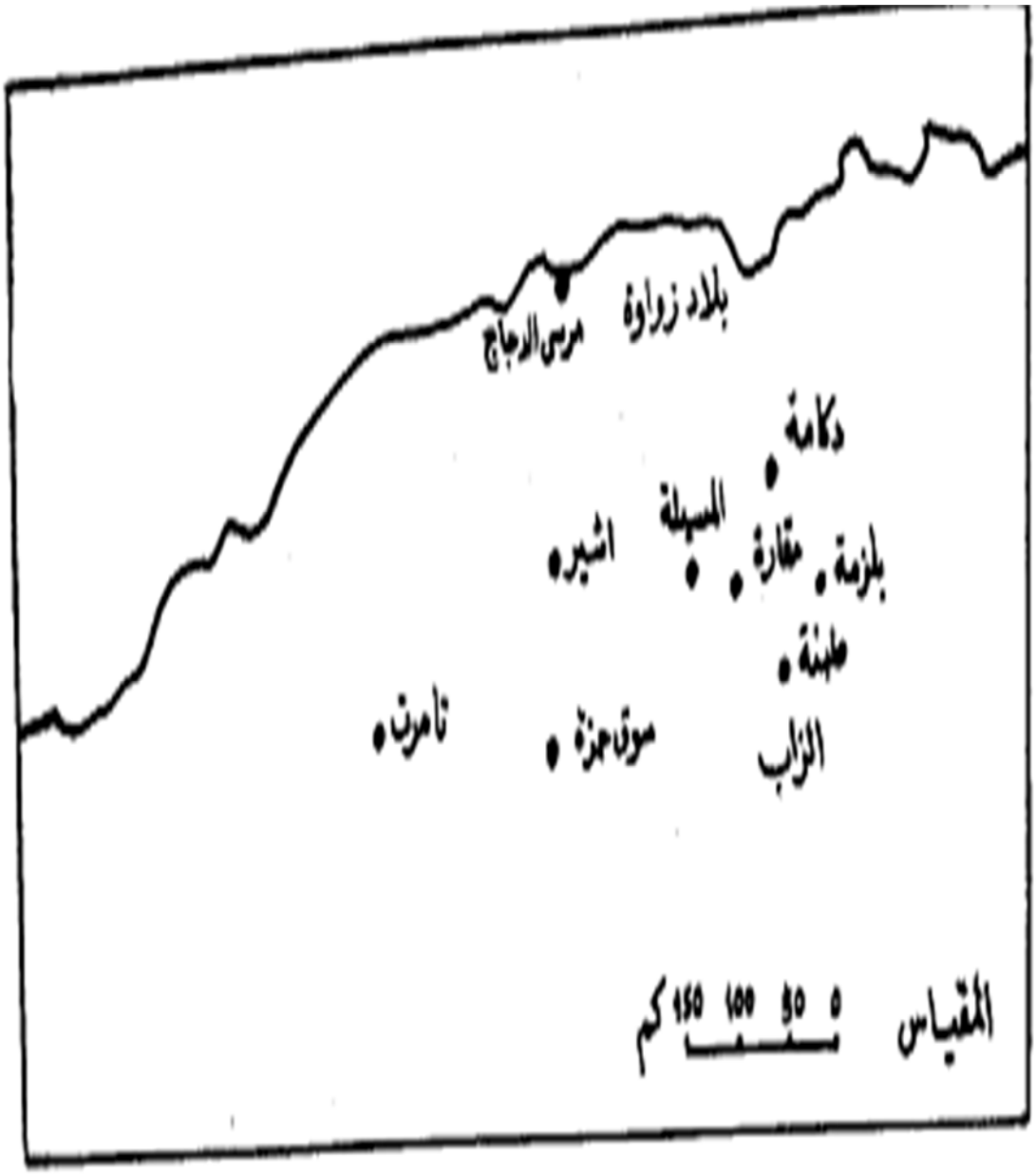

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 39.

قائمة المصادر

والمراجع

1- المصادر:

1- ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة، (د ط)، 1993.

2- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، طبعة اسالة، 1843.

1- ابن الأبار (عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)، الحلة السيراء،ج1، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1،د ت.

2- ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين علي بن احمد بن ابي الكرم محمد بن محسن بن عبد الكريم الشيباني)، الكامل في التاريخ، ج1، ج7، ج8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.

3- ابن الخطيب (ابن الخطيب الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي لسان الدين)، أعمال الأعلام فبمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ومن يتعلق بذلك من كلام، تح: سيد كروسي حسن،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

4- ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي)، جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (د ط)، (د ت)

5- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد) ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مرا: سهيل زكار، ج 6، ج7، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2000.

6- ابن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1431- 2010.

7- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين احمد محمد بن أبي بكر،ت:608-681هـ)، وفيات الأعيان و أبناء الزمان تح: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

8- ابن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب،ج1،تح: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1974.

9- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تح: ومرا:ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط3، 1983.

10- ابن قطان المراكشي، (منتصف القرن السابع الهجري) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، در: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

11- ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد مكرم)، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

12- الإدريسي الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة، القاهرة، دت، دط.

13- الآغا بن عودة مزاري، طلوع سعد السعود (في اخبار وهران والجزائر و اسبانيا و فرنسا في أواخر ق 19م)، تح: يحي بوعزيز،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

14- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة بنان، بيروت، 1977.

15- البغدادي (امحمد التميمي ت 469هـ-1037م)، الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

16- البكري ابو عبيدة (ت487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، دط.

17- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي) ، معجم البلدان،مج1،دار صادر بيروت 1977/1397م.

18- الحميري (محمد عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس مكتبة لبنان، ط1، 1975.

19- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت348هـ، 1174، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417- 1996.

20- الزركلي خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المتربين والمستشرقين)، مج2، دار العلم للملايين، ط1، 1980.

21- السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر)، تاريخ السودان، باريس، (د ط) 1981.

22- السماك العاملي المالقي الغرناطي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2010.

23- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل و الملوك،ج1،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،مصر،ط2، (د ت).

24- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: التراث في مؤسسة الرسالة، مكتبة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2006.

25- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشرواي، ديوان المطبوعات الجامعية للشركة التونسية، تونس، ط2، 1877.

26- القلقشندي ابي العباس أحمد، نهاية الارب في معرفة انساب العرب تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

27- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5 دار صادر، بيروت، 1915.

28- القلقشندي، قلائد الجمان التعريف بقبائل الزمان، تح: دار إبراهيم الابيار، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982.

29- المالكي عبد الله بن عمر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش، مرا: محمود العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط2، 1994م.

30- الماوردي (ابو الحسن محمد)، الاحكام السلطانية و الولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت).

31- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ، ادب الدنيا و الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

32- مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1 2005.

33- المراكشي (عبد الواحد المراكشي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ج1، تح: محمد السعيد العريان،ط1، بيروت، د ت.

34- المقديسي شمس بن أبي عبد الله، أسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن المحروسة، دط.

35- المقري (احمد بن محمد المقري التلمساني)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج4، تح: احسان عباس، دار صادر، (د ط)، 1988.

36- المقريزي (تقي الدين)، اتعاض الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ج1، تح: جمال الدين الشيبال، مطابع القاهرة التجارية، القاهرة، ط2، 1996م.

37- النويري (شهاب الدين احمد بن علي الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج24، تح: عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

2- المراجع:

38- أبو عبد الله الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد الندوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

39- إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، مرغم للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للحقوق المطبعية، الجزائر، 2003.

40- ألفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت، دط.

41- بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968.

42- بوتشيش إبراهيم القادري، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس خلال عهد المرابطين، دار الصلة، بيروت، (د ط)، (د ت).

43- بوتشيش ابراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الاندلس خلال عصر المرابطين، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت.

44- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)،1977.

45- بوسماحة عبد الحميد ، رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية، ج1،دار السبيل، الجزائر، 2008

46- بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2009. [1]

47- بيضون إبراهيم، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92هـ/ 422هـ/711م-1031م)، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

48- الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون، العصبية و الدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط 6، 1994.

49- جلول احمد الندوي، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر، (دط)، 1984.

50- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

51- حسن خضير أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362هـ/567هـ /973م- 1171م)، مكتبة مديولي ، القاهرة، ط1، (د ت).

52- حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي و حضاراته من قبيل الفتح العربي الى بداية الاحتلال الفرنسي بالجزائر من القرن 6م الى 19م، مج 1،ج1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

53- خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي السليمي، دار، الجزائر، 2007.

54- الخفي عبد المؤمن، موسوعة والجماعات الإسلامية، دار الرشاد، الإسكندرية، 1413- 1993.

55- خلف محمد نجيب، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، رئيس المشروع صالح بن قربة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.الجزائر،2007.

56- الدراجي بوزياني ، القبائل الأمازغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)،ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)،2007.

57- دغفوس راضي ، دراسات في التاريخ الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005

58- رابح بونار، تاريخ المغرب وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

59- روجي إدريس الهادي ، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط1، 1992.

60- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي " الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ط) ، 1990.

61- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان.

62- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2011.

63- شنقارو عواطف العربي، فتنة السلطة، الصراع و دوره في نشأة غلاة الفرق الاسلامية (من القرن 1الى 4هـ)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 2، 2001.

64- صبحي احمد محمود ، فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1999.

65- الطمار محمد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، (د ط)، 2010.

66- الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، مج 2، ج2، ط2، دار الفكر العربي، 1997.

67- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.

68- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م.

69- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الامة للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، (د ط)، 2013.

70- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

71- العروي عبد الله، العرب و الفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، 2006

72- عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2008.

73- عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)،ج1، دار المعرفة، ، الجزائر،(د ط)، 2009.

74- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)، دار الصحوة للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1411،2هـ/1991م.

75- غلاب عبد الكريم ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج1،دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

76- الغنيمي مقلد عبد الفتاح ، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، 1994، ج4.

77- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب و الاندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د ط)، 1990.

78- الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي، مر: ابو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2003.

79- مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق السلامي في العصور الوسطى، تر: محمود بد الصمد، مرا: مصطفى ابو ضيف احمد الانتصار، الاسكندرية، (د ط)،1999م

80- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية.

81- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط،1984.

82- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010.

83- مرمول محمد صالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983.

84- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف ق 5 إلى 11م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979.

85- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دار الرشاد، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، (د ط)، 2004.

86- الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان.

87- الناصري السلاوي ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى،ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

88- نبهان يحي محمد، معجم مصطلحات التاريخ، منتدى سور الازبكية، دار ياف للنشر و التوزيع، الاردن عمان، ط1.

89- النويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2 1980.

90- وهبان احمد ، الماوردي رائد الفكر الاسلامي السياسي، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، دار الجامعة الجديدة للنشر و التوزيع، الاسكندرية، 2001.

3- الأطروحات والرسائل الجامعية:

91- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية و اثارها على النظم و العلاقات في المغرب، رسالة ماجستير من الجزائر، مهعد التاريخ، 1987.

92- خثير قويدري، صراع العصبيات في الاندلس و نتائجه على مسيرة الفتح، من بداية الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الأوسط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاوسط، جامعة الجزائر 2012- 2013.

4- المجلات والدرويات:

93- بدر احمد ، عالم الفكر التاريخي التفسير التاريخي من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، مج 29 مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت،14 أفريل، 2001، العدد 4،

94- بورويبة رشيد ، بلقين بن زيري، مجلة الأصالة، عدد8،ربيع الثاني- جمادى الأول،1392 ماي-جوان 1972.مج3، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.

95- بوعقادة عبد القادر ، التحول المذهبي في العهد الصنهاجي، الحمادي الزيري، وأثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، السنة التاسع عشر، العدد 74، جمعية المساجد للثقافة والتراث، دبي، 2011.

96- العبادي احمد مختار ،سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، عدد1و 2، مج 5 ،1377هـ/1957م.

97- عبد الجواد الرواشدة علاء زهير، ، نظرية العصبية، قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، مجلة كان التاريخية ، العدد 11.

98- لقبال موسى ، ميزات بجاية و اهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الاوسط في العصور الوسطى،مجلة الاصالة ، عدد 19-20،مج 7،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، تلمسان، 2011.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: ماهية العصبية	
1) – مفهوم العصبية	08
2) – مفهوم القبيلة	11
نظرية العصبية عند ابن خلدون	14
1– مصدر العصبية وأشكالها	15
2– دور العصبية في الحياة الاجتماعية والسياسية	16
الفصل الأول: دور صنهاجة في تأسيس الدولة الزيرية	
المبحث الأول: أصل تسمية صنهاجة	24
المبحث الثاني: ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث ببلاد المغرب	30
زيري بن مناد وابتداء أمر صنهاجة	31
تأسيس مدينة أشير	32
العلاقة الزيرية الفاطمية	33
المبحث الثالث: ظهور شخصية حماد على مسرح الأحداث	42
حماد ودوره في مواجهة الصراعات الداخلية والخارجية	44
تأسي قلعلة بني حماد	47
الصراع بين حماد وباديس	48
الصراع بين حماد والمعز وظهور بوادر الانفصال	51
الفصل الثاني: انقسام الدولة الصنهاجية وتأسيس الدولة الحمادية	
المبحث الأول: الصلح وإعلان قيام الدولة	54
المبحث الثاني: الأطوار التي مرت بها الدولة الحمادية وفق نظرية القوة والغلبة	57
أ– مرحلة الصراع وإبراز الرقي الحضاري	58
– الصراع الحمادي الزيري	58
– الصراع الحمادي لصد الهجوم المرابطي الزناتي	64
– سياسة الحماديين مع الأعراب الهلالية	68
ب– مرحلة العظمة والمجد	74
ج– مرحلة الهرم والاضمحلال	79
المبحث الثالث: عوامل سقوط الدولة الحمادية	83
خاتمة.....	88
الملاحق	92

قائمة المصادر والمراجع..... 103
فهرس الموضوعات..... 117

: